تراثنا

لمع الأدلة

في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة

لعبد الملك الجويني (إمام الحرمين أبو المعالي)

٤١٩ - ٤٧٨ هـ

تقديم وتحقيق

الدكتورة فوقية حسين محمود

مدرسة الفلسفة بكلية البنات

بجامعة عين شمس

راجع التحقيق

المرحوم الدكتور محمود الخضيري

المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر
الدار المصرية للتأليف والترجمة

الطبعة الأولى

١٣٨٥ هـ — ١٩٦٥ م

بسم الله الرحمن الرحيم

التقـــــديم

من بين مصنفات إمام الحرمين المخطوطة رسالة « لمع الأدلة فى قواعد عقائد أهل السنة والجماعة » وقد اخترت هذه الرسالة وقمت بتحقيقها منذ سنوات لاحتوائها على آراء الإمام الكلامية ، على طريقة أهل الحق ، وذلك فى إيجاز واقتضاب لم يمسا الغاية التى من أجلها صنفت .

وقد أثبت فى التقديم لهذا المخطوط :

دراسة تفصيلية لسيرة إمام الحرمين .

أعقبتها بنبذة عن مصنفاته .

ثم ببيان عن مكانته بين أهل عصره واللاحقين عليه .

ثم بتعليق على التحقيق .

وأخيراً بتحليل « للمع » .

١

سيرة إمام الحرمين

اسمه :

أجمع الذين ترجموا لإمام الحرمين على أنه هو عبد الملك بن عبد الله ابن يوسف[١] .

غير أنهم إذا كانوا قد أجمعوا على ذلك . فقد اختلفوا فى أسماء أجداد عبد الملك بعد ذكر يوسف .

قيل : عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن عبد الله بن حيويه هذا ما ذكره السبكى[٢] .

وقيل : عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن حيويه هذا ما ذكره ابن خلكان[٣] .

ويتفق ما ذكره هذا الأخير مع ما ذكره ابن العماد فى شذرات الذهب[٤] عندما ترجم لعبد الله والد إمام الحرمين .

---

(١) السبكى ـ طبقات الشافعية الكبرى ج ٣ ص ٢٤٩ .
ابن خلكان ـ وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٦١ .
ابن العماد ـ شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ج ٣ ص ٣٥٨ .
ابن الجوزى ـ المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ج ٩ ص ١٨ .
ابن تغرى بردى ـ النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٢١ .
ابن فضل الله العمرى . مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار ج ٣ ق ١ ل ٣٨ .
ابن عساكر تبيين كذب المفترى ص ٢٧٨ .
السمعانى ـ الأنساب ل ١٤٤ .
الذهبى ـ سير أعلام النبلاء ج ١١ ق ٢ ل ٢٥٥ يمين .

(٢) طبقات الشافعية الكبرى ج ٣ ص ٢٤٩ .

(٣) وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٦١ .

(٤) شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ج ٣ ص ٣٥٨ .

غير أن ابن خلكان يتفق مع السبكى فى ذكر كنيتين لعبد الله ويوسف (الأول) .

فيقولان : عبد الملك بن أبى محمد عبد الله بن أبى يعقوب يوسف..الخ .

ويتفق معهما فى هذا ابن العماد .

وقد أعاننا هذا الأخير وهو بصدد ترجمة والد إمام الحرمين[1] « أبى محمد عبد الله » على ضبط اسم الجد الأكبر فقال عن لفظ « حيوية» أنه بمثناتين تحت أولاهما — يقصد الياء الأولى — مضمومة مشددة ، والثانية مفتوحة .

وقد ذكر السبكى وابن تغرى بردى وابن العماد وابن عساكر وابن فضل الله العمرى أن عبد الملك يكنى بأبى المعالى . وأغلب الظن أنه كنى بذلك لما كان عليه طوال حياته من معرفة بالعلوم الإلهية . وما قام به من كفاح لإعلاء شأن الدين حيث جمع بين سلامة المنطق ومتانة القول فى الرد على خصومه ؛ فأظهر الحق وأزهق الباطل وعلا الدين على يديه فقيل له : أبو المعالى .

هذا من حيث اسمه وكنيته .

أما عن نسبه فقد أجمع المترجمون[2] على نسبته إلى جوين . فقالوا عنه : الجوينى . وانفرد السبكى بنسبته إلى نيسابور فقال : النيسابورى .

---

(١) شذرات الذهب فى أخبار من ذهب جـ ٣ ص ٣٦١ .
(٢) السبكى — طبقات الشافعية الكبرى جـ ٣ ص ٢٤٩ .
ابن تغرى بردى — النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة جـ ٥ ص ١٢١ .
ابن العماد — شذرات الذهب فى أخبار من ذهب جـ ٣ ص ٣٥٨ .
ابن خلكان — وفيات الأعيان جـ ١ ص ٣٦١ .
ابن الجوزى — المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم جـ ٩ ص ١٨ .
ابن عساكر — تبيين كذب المفترى ص ٢٧٨ .
ابن فضل الله العمرى — مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار جـ ٣ ق ١ ل ٣٨ .
السمعانى — الأنساب ل ١٤٤ .
الذهبى — سير أعلام النبلاء جـ ١١ ق ٢ ل ٢٢٥ يمين .

وجُوَيْن[1] أو كُوَيْن هى ناحية من نواحى نيسابور . ينسب إليها قوم غيره عديدون يذكر منهم ياقوت فى معجم البلدان[2] والد عبد الملك عبد الله الجوينى وعمه الحسن على بن يوسف الجوينى[3] وموسى بن العباس ابن محمد أبا عمران الجوينى النيسابورى .

والمعروف أن نسبة الأفراد إلى المدن تكون فى أكثر الأحوال بحكم مكان المولد أو الإقامة أو الوفاة .

فإذا درسنا ظروف حياة إمام الحرمين نجد أنه لم يرد ما يدل على أنه قد ولد أو أقام أو توفى بجوين .

وهنا نتساءل عن مصدر هذه النسبة ؟

من المقطوع به[4] أن والده قد ولد بناحية جوين وأنه مكث بها فترة من الزمن فتأدب وتفقه على علماء كانوا يقيمون بها ثم رحل عنها طلباً للعلم ،

---

(١) تقع هذه المدينة بين بسطام ونيسابور . حدودها متصلة ببيهق من جهة القبلة وحدود جاجرم من جهة الشمال .
ياقوت معجم البلدان — المجلد ٣ مادة جوين ص ١٨١ .
دائرة المعارف الاسلامية مجلد ٧ مادة جوين ١٧٨ — ١٧٩ .
دائرة معارف البستانى مجلد ٦ مادة جوين ص ٦١٠ .
الاصطخرى ص ٢٨٤ .
(٢) مجلد ٣ مادة جوين ص ١٨٢ .
(٣) وهو يلقب أيضا بشيخ الحجاز — توفى عام ٤٦٣ هـ . قال عنه ياقوت : انه صوفى لطيف . ظريف فاضل — يشتغل بالعلم والحديث . وقد صنف كتابا حسنا فى علوم الصوفية مرتبا مبوبا سماه كتاب الصلاة .
(٤) السبكى — طبقات الشافعية الكبرى جـ ٣ ص ٢٤٩ .
ابن تغرى بردى — النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة جـ ٥ ص ١٢١ .
ابن العماد — شذرات الذهب فى أخبار من ذهب جـ ٣ ص ٣٥٨ .
ابن خلكان وفيات الأعيان جـ ١ ص ٣٦١ .
ابن الجوزى — المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم جـ ٩ ص ١٨ .
ابن عساكر — تبيين كذب المفترى ص ٢٧٨ .
السمعانى — الأنساب ل ١٤٤ .
ابن فضل الله العمرى — مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار جـ ٣ ق ١ ل ٣٨ .
الذهبى سير أعلام النبلاء جـ ١١ ق ٢ ل ٢٥٥ يمين .

على نحو ما سيجيء تفصيله بعد ، عند الحديث عن والد الإمام ؛ فيكون عبد الله والد الإمام قد نسب إلى مسقط رأسه وعرف بالجوينى طوال حياته ؛ وما ان وافته المنية وقعد ابنه عبد الملك مكانه للتدريس حتى أخذ عنه هذه النسبة . ومن ثم تكون نسبة عبد الملك إلى جوين ، قد وقعت بالوراثة .

أما عن نسبة عبد الملك إلى نيسابور (١) . فذلك يرجع إلى طول إقامته بتلك المدينة كما سيتبين ذلك من دراسة ظروف سيرته فيما بعد .

هذا من حيث اسمه وكنيته ونسبه . أما عن لقبه فقد أجمع المترجمون على تلقيبه بإمام الحرمين(٢) — وأضاف ابن العماد وابن خلكان وابن فضل الله العمرى فذكروه بلقب « ضياء الدين » أما عن لقبه « إمام الحرمين » فقد قيل(٣) إنه لقب بهذا اللقب لأنه جاور بمكة أربع سنوات كان خلالها يناظر ويلقى الدروس . لتثبيت الدين وتقوية عمده . فقيل عنه « إمام الحرمين » .

أما لقبه « ضياء الدين » فقد أطلق على إمام الحرمين لما كان عليه من القدرة على إنارة الطريق للمدافعين عن العقيدة . فقد مكن أهل السنة من الرد على الفرق الأخرى الضالة الهالكة ؛ فكان نورهم الذى به اهتدوا إلى سواء السبيل . وكان هذا اللقب يعبر عما يكنون له من التقدير فلقب بضياء الدين .

---

(١) تقع فى خراسان بينها وبين الرى ١٦ فرسخا وبينها وبين سرخس ٤٠ فرسخا .
ياقوت — معجم البلدان . المجلد الثامن مادة نيسابور ص ٣٥٦ .

(٢) أنظر هامش (٣) من ص ٧ السابقة .

(٣) السبكى — طبقات الشافعية الكبرى ج ٣ ص ٢٥١ .
ابن فضل الله العمرى — مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار ج ٤ ق ١ ل ٣٨ .
الذهبى — سير أعلام النبلاء ج ١١ ق ٢ ل ٢٥٥ .
ابن كثير — البداية والنهاية ج ١٢ ص ١٢٨ .
ابن العماد — شذرات الذهب ج ٣ ص ٣٥٨ .
ابن خلكان — وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٦١ .

مكان مولده :

كان مولد إمام الحرمين بولاية خراسان(١) وقد أغفلت أغلب المراجع ذكر مسقط رأسه ، إلا أن مرجعاً واحداً فقط ذكر أنه ولد ببشتنقان أو بشتنكان . وهذا المرجع هو كتاب تاريخ الآداب العربية لبرُوكلمن .

وقد رجعنا إلى المراجع القديمة التى اعتمد عليها بروكلمن فى أقواله . فلم نعثر على أصل نص فيه على أن مكان مولد الإمام هو بشتنقان ؛ وإنما أجمع أغلب المترجمين على أن إمام الحرمين قد توفى فى هذه البلدة « بشتنقان » ثم نقل بعد ذلك إلى داره بنيسابور .

ولكن إذا أردنا أن نتحقق من ذلك ونتعرف على المدينة التى ولد بها إمام الحرمين كان علينا أن نبحث فى الظروف التى اكتنفت الفترة التى كان فيها مولده . وهذا يحملنا على الاتجاه بالبحث بطبيعة الحال إلى دراسة ظروف حياة الوالد فى تلك الفترة .

قيل عن والده إنه بعد أن أقام بناحية « جوَين » مدة من الزمن ارتحل عنها فى طلب العلم على عادة جميع العلماء فى ذلك الحين . وانتهى به المطاف حسب ما أجمعت عليه مختلف التراجم إلى « نيسابور » وكان ذلك عام ٤٠٧هـ (٢) فاستقر بها واشتغل بالتدريس بعد ذلك إلى حين وفاته على نحو ما سنذكره مفصلا فى موضعه بعد ، فاذا كان هذا الذى يرويه المترجمون صحيحاً كان على الباحث أن يقرر أن والد عبد الملك لم يرتحل بعيداً عن نيسابور ولم يخرج منها منذ أن وطئت قدمه تلك المدينة ولو لمدة قصيرة .

---

(١) تقع فى الشمال الشرقى من بلاد فارس تحدها شمالا خيوة وشرقا أفغانستان وجنوبا وغربا ولايات كرمان الفارسية وفارس وبلوخستان والعراق العجمى : دائرة معارف البستانى مجلد ٧ ص ٣٥٣ — ياقوت — معجم البلدان — المجلد الثالث مادة خراسان ص ٤٠٨ .

(٢) السبكى طبقات الشافعية الكبرى ج ٣ ص ٢٠٨ — ابن العماد — شذرات الذهب ج ٣ ص ٢٦١ . الذهبى — سير أعلام النبلاء ج ١١ ق ١ ل ١٣٧ .

ومن ثم يمكن لنا أن نقرر بعد مقابلة تاريخ مولد عبد الملك الواقع عام ٤١٩ هـ – وفق ما قررناه بعد – و بين تاريخ استقرار الوالد بنيسابور الواقع عام ٤٠٧ هـ : أن مولد إمام الحرمين قد حدث بنيسابور أو بمنطقتها .

فإذاعرفناأ ن« بشتنقان» منقرى نيسابور ، بلهى تعتبرإحدى منتزهاتها [1] وذلك لقربها منها فلا يفصلها عنها إلا فرسخ واحد[2] بل قيل إنه نصف فرسخ. فلا يبعد والأمر كذلك أن يكون الوالد قد سكنتلك القرية ، ولو لفترة قصيرة وهى فترة مولد طفله ، وذلك لاعتدال هوائها ولقربها منمقر عمله ، ولما عرف عن « نيسابور » من حرارة الجو ورداءة طعم المياه التى لايصل إليها الأهلون إلا إذا نزلوا إلى « قنى » تحت الأرض [3] فلا يبعد والأمر كذلك أن تكون «بشتنقان» هى مسقط رأس عبدالملك وخاصة إذا أخذنا فىاعتبارنا أنها كانت المكان الذى رغب أن يدفن فيه إمام الحرمين وقد نقل إليها فى مرضه الأخير .

تاريخ مولده :

اختلف المترجمون فى تحديد تاريخ ميلاد إمام الحرمين ، قال السبكى فى طبقات الشافعية الكبرى[4] : إن مولده كان فى ١٨ محرم سنة ٤١٩ هـ . وقد اتفق معه فى ذلك ابن خلكان[5] وابن عساكر[6] وابن كثير فى البداية والنهاية[7] وابن فضـــل الله العمرى فى مسالك الأبصار[8] . والسمعانى فى الأنساب[9] .

(١) انظر معجم البلدان لياقوت مجلد ٨ مادة نيسابور ص ٣٥٦ .
(٢) الفرسخ : ٩٠٠٠ ذراع بذراع القدماء و ١٢٠٠٠ بذراع المحدثين – أى حـــوالى ١٠ كيلومترات .
(٣) ينظر هامش (١) عن نيسابور ص ٨ من هذا الكتاب .
(٤) جـ ٣ ص ٢٥١ .
(٥) وفيات الأعيان جـ ١ ص ٣٦٢ .
(٦) تبيين كذب المفترى ص ٢٨٥ .
(٧) جـ ١٢ ص ١٢٨ .
(٨) جـ ٤ ق ١ ل ٣٨ و ٤٠ . (٩) ل ١٤٤ .

وقد خرج عن ذلك مؤرخان هما : ابن الجوزى وابن تغرى بردى ، أشار الأول فى كتابه المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم[1] إلى أن مولد ذلك الإمام كان فى سنة ٤١٧ هـ . كما أن ابن تغرى بردى فى النجوم الزاهرة[2] قد أثبت نفس التاريخ .

ولكى نصل إلى رأى أقرب إلى الصواب فى تحديد مولده . يحسن بنا أن نترك تاريخ الميلاد ، وما جاء بصدده جانباً ونوجه اهتمامنا إلى تاريخ آخر أجمع عليه المترجمون وهو تاريخ الوفاة . وهذا نص العبارة التى ورد فيها ذكر هذا التاريخ والتى وردت بتلك الصيغة تقريباً فى جميع التراجم السالفة الذكر بما فى ذلك كتابى المنتظم فى تاريخالملوك و الأمم . والنجوم الزاهرة :
« مات بها (أى ببشتنقان) ليلة الأربعاء وقت العشاء ٢٥ ربيع الآخر سنة ٤٧٨ هـ » .

هذا من جهة ومن جهة أخرى يجب أن نأخذ فى الاعتبار مقدار عمر عبد الملك فنأخذ بما قرره هؤلاء المترجمون وأجمعوا عليه، وهو أن إمام الحرمين مات عن تسع وخمسين سنة .

فإذا صح ذلك بالنسبة للسنة التى توفى فيها وبالنسبة لمقدار عمره أمكننا على هذا الأساس أن نجرى عملية حسابية بسيطة فننقص من الأربعمائة وثمان وسبعين سنة مقدار عمره ؛ فيترتب علىهذا أن يكون تاريخمولده فىسنة٤١٩هـ تسع عشرة وأربعمائة .

ويكون ابن الجوزى وابن تغرىبردى بتقريرهما عام ٤١٧ هـ تاريخاً لمولد إمام الحرمين قد جانبا الصواب ؛ والأمر كذلك بالنسبة لابن كثير فى كتابه

(١) جـ ٩ ص ١٨ .
(٢) جـ ٥ ص ١٢١ .

البداية والنهاية [١] إذ أنه وقد أورد – كما بينت – تاريخى المولد والوفاة متفقين ، وما أثبته المترجمون الآخرون وما اهتدينا إليه بالتحقيق – غير أنه قد قدر مقدار عمر الجوينى سبعة وخمسين عاماً ، وليس تسعة وخمسين .

ومن ثم يكون تاريخ المولد هو اليوم الثامن عشر من المحرم عام ٤١٩ هـ الموافق الثانى والعشرين من شهر فبراير عام ١٠٢٨ م[٢] .

أصله :

إن الباحث فى سيرة إمام الحرمين يتبادر إلى ذهنه أنه خراسانى الأصل لولادته بتلك المنطقة . إلا أن هناك من المترجمين من يتحدث عن والده . فيذكر أنه طائى سنبسى[٣] . فإذا كان ذلك صحيحاً ، وصح معه ما ورد فى « تاج العروس » من أن سنبس هو أبو حى من طىء[٤] وكانت طىء قبيلة مشهورة من قبائل العرب ، كان عبد الله الجوينى الذى ورد عنه أنه سنبسى طائى ، عربى الأصل وكان ابنه بالتالى من أصل عربى ، ومن ثم يكون أن إمام الحرمين ، وإن كان خراسانى المولد والموطن والوفاة إلا أنه عربى من دم عربى .

والده :

هو الشيخ عبد الله[٥] بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن حيويه يقال له الجوينى نسبة إلى جوين[٦] حيث ولد وعاش فترة من الزمن كما ينسب إلى سنبس[٧] فهو عربى من دم عربى أصيل ، وتحدثنا التراجم عن

(١) جـ ١٢ ص ١٢٨ .

(٢) التقويم العام – ميخائيل دبانة – طبعة دار الهلال سنة ١٨٩٨م .

(٣) السبكى – طبقات الشافعية الكبرى جـ ٣ ص ٢٠٨ .
الذهبى – سير أعلام النبلاء جـ ١١ ق ١ ل ١٣٧ يسار .

(٤) محب الدين أبو الفيض ، السيد محمد مرتضى الحسينى ، الواسطى الزبيدى الحنفى – تاج العروس من جواهر القاموس جـ ٤ ص ١٦٨ ص ٩٢ .

(٥) الذهبى – سير أعلام النبلاء جـ ١١ ق ١ ل ١٣٧ .

(٦) أنظر ص ٧ السابقة من هذا التقديم .

(٧) أنظر أعلاه السطر ٩ .

حياة ذلك الوالد بناحية جوين ، فتذكر أنه بقى بها بضع سنين حتى شب وترعرع ، وقد تلقى العلم أول ما تلقى عن والده المعروف بالأديب يوسف[١] قرأ عليه الأدب . كما تفقه على أبى يعقوب الأبيوردى[٢] ثم ما لبث أن فكر فى الارتحال عن جوين طلباً للعلم فذهب أولا إلى نيسابور ، فلازم أبا الطيب الصعلوكى ؛ ثم اتجه نحو مرو[٣] قاصداً القفال المروزى[٤] ولازمه حتى برع عليه مذهباً وكلاماً وأتقن طريقته ثم عاد إلى نيسابور عام ٤٠٧هـ واستقر بها إلى حين وفاته .

فإن أردنا أن نتعرف على حقيقة ثقافة ذلك الوالد لنتبين أثره فى ولده ، كان علينا أن نقف قليلا عند كل من أولئك الذين تلقى عليهم عبد الله الجوينى العلم . وأول من يجب أن نهتم به هو أبوه يوسف غير أن التراجم لم تمدنا بشىء من أخباره الأمر الذى يجعلنا نكتفى بما قيل عنه من أنه أديب ونثبت أن أثره فى ولده كان على الأخص فى اللغة والأدب . أما الأبيوردى فقد أغفلت التراجم التى وقعت بين أيدينا ذكر شىء عنه .

وأما الصعلوكى المتوفى سنة ٣٨٧هـ[٥] فقد ورد عنه أنه فقيه شافعى . وكان يقال له فى وقته الإمام ، كما كان متكلماً وأديباً .

أما القفال المروزى المتوفى سنة ٤١٧هـ[٦] فقد قيل عنه ان له فى مذهب

(١) السبكى طبقات الشافعية الكبرى جـ ٣ ص ٢٠٨ .

(٢) نفس المرجع السابق .

(٣) نفس المرجع السابق .

(٤) نفس المرجع السابق .

(٥) يتردد الذهبى عند تحديد تاريخ وفاة الصعلوكى فيذكر أولا أنه توفى عام ٣٨٧ هـ . ثم يذكر أنه توفى عام ٤٠٢ هـ (ينظر سير أعلام النبلاء) جـ١١ ق١ ل٦ . أما ابن فضل الله العمرى فانه يذكر أنه توفى عام ٤٠٤ هـ – مسالك الأبصار جـ ٤ ق ١ ل ٢١ .
ابن فضل الله العمرى – مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار جـ ٤ ق ١ ل ٢٥ .

(٦) ابن كثير البداية والنهاية : جـ ١٢ ص ٢١ .

الشافعى ما ليس لغيره من أبناء عصره ، تلقى عليه خلق كثير وتفقهوا على يديه ، وكل واحد من هؤلاء صار إماماً يشار إليه بالبنان وقد قيل عنه القفال لأنه أفنى شبابه فى صنع الأقفال .

فثقافة والد الإمام يتوفر فيها إلى حد كبير العنصر الإسلامى الخالص من حديث وفقه وكلام ، فإذا عرفنا زيادة على هذا أن ذلك الوالد حين استقر بنيسابور عام ٤٠٧ هـ[1] قعد بها للتدريس والفتوى ومجلس المناظرة وتعليم الخاص والعام ، تبين لنا حقيقة اتجاهه فقد كان على رأس مدرسة تميزت بطابع يبعد بها كل البعد ، ويميزها كل التميز عن غيرها من مجالس أهل الزندقة . التى كانت شائعة فى ذلك العصر ، وبذلك نرى كيف أن بيئة إمام الحرمين العائلية كانت خليقة بتكوين إمام أمين على العلوم الإسلامية محب لها وذلك بحكم طبيعة عمل الوالد من جهة ، وبحكم ولعه الطبيعى بالعلم ورغبته الأكيدة فى الاستزادة منه ، فى كل وقت وكل حين من جهة أخرى . وليس أدل على اتصاف الوالد بحبه للعلم مما ذكره إمام الحرمين عن والده من أنه كان يقول فى دعاء قنوت الصبح « اللهم لاتعقنا عن العلم بعائق . ولا تمنعنا عنه بمانع »[2] .

وهذه صفة من صفات والد الإمام لها أهميتها من حيث أنها تثبت ماكان عليه ذلك الوالد منذ نعومة أظفاره من حب للعلم وشغف بالدرس والتمحيص . وكان لكل هذا أثره فى توجيه إمام الحرمين وجهة الاستقصاء والتحصيل وهو الذى تتلمذ أول ما تتلمذ على والده على نحو ما ذكرته التراجم . وإذا ما أخذنا فى الاعتبار إلى جانب ذلك أن والد إمام الحرمين عندما تتلمذ عليه ابنه كانت قدمه راسخة فى العلم وكان ذا مهابة ووقار . وكان يلقب بالشيخ وهو لفظ يطلق على من كانت له قدرة على التعليم ودراية بالفتوى ، عرفنا أن إمام الحرمين قد تفتحت مداركه على يد رجل ناضج الفكر ، غزير العلم .

(١) السبكى ـ طبقات الشافعية الكبرى جـ ٣ ص ٢٠٨ .
(٢) نفس المرجع المذكور .

ولكى تتم الصورة التى نريد أن نعطيها عن والد إمام الحرمين علينا أن نلم بشيئين آخرين : أحدهما حرصه الشديد على عدم الوقوع فيما فيه شبهة . والآخر ما يتعلق بكتاب « المحيط » الذى لم يتقيد فيه والد الإمام بالمذهب الشافعى[1] .

قيل عن والد الإمام انه ما كان يستند فى داره إلى الجدار المشترك بينه وبين جيرانه ولا يدق فيه وتداً ، وكان يحتاط فى أداء الزكاة حتى كان يؤديها فى السنة مرتين حذر النسيان أو دفعها إلى غير المستحق[2] .

كما أنه يحكى عنه بصدد اتصاله بأم ولده أنه اتخذها أمة اشتراها بمال حلال من كسب يده ، عن طريق النسخ بالأجرة ، لكى تكون عليه خيراً وبركة ، وكانت صالحة ، وما إن حملت منه حتى أخذ يوصيها بمجانبة ما فيه شبهة ، سواء فيما يتعلق بها ، أو يمس ولدهما ، حتى كان أمر «المصة» وهى تتلخص فى أنه حدث حين كان عبد الملك رضيعاً أن انشغلت أمه عنه فى إعداد طعام لأبيه فبكى وكانت فى دارهم جارية مرضعة لجيرانهم فأرضعته «مصة أو مصتين» ولما دخل والده استنكر ذلك منها . وقال : « هذه الجارية ليست ملكاً لنا أو ليس لها أن تتصرف فى لبنها ولم يأذن لها أصحابها بذلك » ، ثم قلب ابنه « وَبَوَّعَهُ » حتى لم يبق فى بطنه شيء منها[3] .

يتبين للباحث مما تقدم كيف كان والد الإمام حريصاً كل الحرص على البعد عما تعتريه شبهة . وكيف كان يحاسب نفسه حساباً عسيراً فى تربية ولده .

وقد كان لهذا كله أثره فى إمام الحرمين . الذى شب وقد حسن مزاجه كما يقول السبكى[4] الذى يرى أيضاً أن نقاء نفس إمام الحرمين وحدّة ذهنه « وبخاصة فى العلوم التى مارسها » ترجع إلى حرص والده على إبعاد كل

(١) السبكى ـ طبقات الشافعية الكبرى جـ ٣ ص ٢١٠ .
(٢) المرجع السابق جـ ٣ ص ٢٠٨ .
(٣) المرجع السابق جـ ٣ ص ٢٥١ .

ماتراءت له فيه شبهة عن ولده . ولاغرابة فى ذلك ، فالحرص وله أثره فى تقويم الطفل الناشىء صحياً وعقلياً تقويماً سليما .

أما عن كتاب « المحيط » فقد ذكر فى كتاب طبقات الشافعية الكبرى (١) أن والد إمام الحرمين أراد أن يكتب كتاباً سماه المحيط ورأى فيه ألا يتقيد بالمذهب الشافعى وأن يقف على مورد الأحاديث لايتعداها ، ويتجنب التعصب للمذاهب غير أنه حدث أن وقع بين يدى الحافظ أبى بكر البيهقى ثلاثة أجزاء من كتاب المحيط فانتقده (٢) فى رسالة أرسلها إلى مصنفه أبى محمد عبد الله والد الإمام وكان نقده منصبًّا على إظهار الأوهام الحديثية . كما بين أن الآخذ بالحديث الواقف عنده هو الشافعى رضى الله عنه . وأن ما أتى به الشيخ أبو محمد من الأحاديث مملوء بأخطاء يعرفها من يتقن صناعة الحديث . فرجع والد الإمام عن المضى فى كتابة هذا المصنف وتاب وشكر البيهقى على ذلك .

وهذه الواقعة أهمية كبرى إذ تظهرنا على ناحية خفية من نواحى نفسية والد إمام الحرمين . وهى نزعته إلى عدم التقيد بالنقل بدون تمحيص والأخذ بما يهديه إليه عقله .

وقد ظهرت هذه النزعة واضحة جلية لدى إمام الحرمين منذ سن مبكرة حين كان يراجع والده ولا يقبل شيئاً إلا إذا قبله عقله .

وهذا ينتهى بنا إلى أن إمام الحرمين قد لمس منذ نعومة أظفاره نزعات من الرغبة نحو التحرر الفكرى من التقليد والجمود تجاوبت معها نفسه ولذلك اتجه نحو التحرر من التقليد والنقول الخاطئة التى تتفق مع العقل الصحيح فى كتاباته وأتقن نقد المذاهب المخالفة على نحو مايظهر ذلك فى مصنفاته .

(١) ج ٣ ص ٢٠٩ .

(٢) ورد نص الرسالة التى ارسلها الحافظ البيهقى الى أبى محمد الجوينى فى مرجعين — الأول : طبقات الشافعية الكبرى ج ٣ من ص ٢١٠ الى ٢١٧ — والثانى : مجموعة الرسائل المنيرية — الجزء الثانى من ص ٢٨١ الى ص ٢٩٠ .

وقد كان لوالد الإمام الكثير من المصنفات غير « المحيط » فيقال إن له : الفروق ، والسلسلة ، والتبصرة ، والتذكرة ، ومختصر المختصر . وشرح الرسالة ، وله مختصر فى موقف الإمام والمأموم ، وله تفسير كبير للقرآن يشتمل على عشرة أنواع فى كل آية .

غير أن هذه المصنفات ليس لها ذكر فى فهارس المكتبات المشهورة اللهم إلا مصنفين : الأول « السلسلة فى معرفة القولين والوجهين على مذهب الشافعى » والثانى : كتاب الفروق . وقد هدانى البحث إلى مصنف آخر لوالد الإمام لم تذكره المراجع وهو رسالة فى إثبات الاستواء والفوقية فى تنزيه البارى عز وجل .

تاريخ وفاته :

اختلفت المراجع بصدد تاريخ وفاة والد إمام الحرمين فبعضها يذكر أنه توفى عام ٤٣٤ هـ وبعضها الآخر يذكر أن ذلك حدث عام ٤٣٨ هـ ، فإذا درسنا جميع ما قيل عن ابنه إمام الحرمين نجد أنه قعد مكان أبيه للتدريس بعد وفاته مباشرة ، وتتحدث التراجم عن سنه فى ذلك الحين فتقول : « وهو دون العشرين أو قريباً منه » (١) .

فإذا رجعنا إلى التاريخ الأول للوفاة وهو سنة ٤٣٤ هـ كان عمر إمام الحرمين حوالى خمسة عشر عاماً . فإذا أخذنا فى اعتبارنا ما يدل عليه الشطر الثانى من العبارة التى وردت بصدد سنه عند قعوده للتدريس وهو أنه كان قريباً منه أى من سن العشرين رجحنا أن يكون تاريخ الوفاة حوالى عام ٤٣٨ هـ .

عصر إمام الحرمين فى نواحيه السياسية والدينية والثقافية :

سبقت الإشارة إلى أن إمام الحرمين ولد عام ٤١٩ هـ وتوفى عام ٤٧٨ هـ . ومعنى هذا أن حياته تقع فى القرن الخامس الهجرى . وهى الفترة التى عرفت

(١) السبكى — طبقات الشافعية الكبرى ج ٣ ص ٢٥١ .

فيها الحياة السياسيه فى الجزء الشرقى من الدولة الإســـلامية بأنها كانت فى أشد حالات الاضطراب والفوضى حيث انقسمت الدولة العباسية إلى دويلات منذ القرن الرابع الهجرى وكان بعضها يتسع نفوذه على حساب البعض الآخر وكانت خراسان من بين الدول التى استقلت بنفسها وبدأت تغير على جاراتها وتسيطر عليها فى عهد أحمد البويهى حوالى عام ٣٣٤ هـ (١) .

ولم يقف الأمر إبان حكم البويهيين لولاية خراسان عند حد السيطرة على كثير من جاراتهم من الدويلات الصغيرة المتخلفة بسبب ضعف الحكم العباسى بل انهم قد سيطروا على الخليفة العباسى نفسه .

وكان مركز الخليفة قد تحرج تحرجاً شديداً منذ بداية القرن الرابع الهجرى . فالكثير من السلاطين كان ينال منه ويعلن الحرب عليه ولذا كان يضطر إلى أن يلجأ إلى سلطان دولة أخرى ليحميه ، ومهد بذلك لسيطرة البويهيين عليه .

وما نريد بيانه أن ضعف الخليفة وتجرده من كل سلطاته وحقوقه قد تسبب عنه الكثير من الفوضى فى أمور البلاد وخاصة ما اتصل منها بالأمور الدينية فى المذاهب والمعتقدات فقد كثر دعاة الشيعة وانبثوا فى مختلف أنحاء الدولة العباسية وكان الخليفة الفاطمى هو الذى يبعث بهم . فكانوا ينادون بخلع الخليفة العباسى السنى وقد نظموا حملتهم أحكم تنظيم فعملوا أول ما عملوا على إقناع أمراء الدويلات بالدخول فى مذهبهم ونجحوا إلى حد ما مع بعض أولئك الأمراء . وقد ترتب على ذلك أن اضطرب الأهلون وثار بعضهم على بعض وانتشرت الفوضى وكان البويهيون فى ذلك الحين لا يقصدون فكرة تولية الخليفة الفاطمى على المسلمين أجمعين لأسباب سياسية محضة ، ذلك أنهم إذا ولوه فلن يكون لهم سيطرة عليه كما هو الأمر مع الخليفة العباسى المسلوب القوى .

(١) ابن كثير — البداية والنهاية جـ ١٢ ص ٣٩ .

غير أن البويهيين وإن كانوا قد أبقوا على الخليفة السنى فإنهم لم يألوا جهداً فى التنكيل به وبأتباعه . وفى التقليل من شأن كل ما يتصل بالمذهب السنى من قريب أو بعيد .

وكان من جراء تلك السياسة أن تأزمت الأمور بين أتباع الفريقين أكثر من مرة ، حتى أن عصر البويهيين كان يعرف بأنه عصر اضطهاد لأهل السنة تعرض فيه أولئك لكثير من المصاعب والأخطار ، الأمر الذى جعل الكثير من أهل السنة يلوذون بالصمت أو يرحلون عن ديارهم غضباً وسخطاً على ما كان يقع فيها من أمور تشين كرامتهم .

احتفظ البويهيون بما كان لهم من مركز وسلطة زهاء قرن من الزمان . وظلت خراسان طوال هذه المدة تحت سلطانهم إلى أن ظهر السلجوقيون لأول مرة فى خراسان حوالى عام ٤٢٦ هـ (١) ولم تستتب لهم الأمور إلا حوالى عام ٤٣١ هـ(٢) ، وامتد سلطانهم بعد ذلك خارج خراسان وحاولوا الاستيلاء على جاراتهم واتجهت أنظارهم نحو العراق وغيره وكانوا يتبعون المذهب السنى .

ولم يقض ظهور السلجوقيين فى ولاية خراسان وزيادة نفوذهم يوماً بعد يوم على الفتن الدينية التى كانت قائمة فى ذلك الوقت سواء كان ذلك فى بغداد أو فى نيسابور أو فى غيرهما من البلدان فقد ظهرت فى بغداد فتن عديدة كانت تشتد نيرانها حيناً وتخبو حيناً آخر وكانت تسفر فى كثير من الأحيان على حوادث دامية يذهب ضحيتها الأهلون .

حدث فى عام ٤٤٣ هـ (٣) أن كتب أهل الكرخ على أبراج باب الدماكين بحروف من ذهب « محمد وعلى خير البشر » . وقال عنهم أهل السنة إنهم

(١) ابن كثير — البداية والنهاية جـ ١٢ ص ٣٩ — زامباور معجم الأنساب والأسرات الحاكمة فى التاريخ — ترجمة الدكتور زكى محمد حسن وحسن احمد محمود — جزء واحد مادة ولاة نيسابور .

(٢) المرجع السابق جـ ٩ من ص ١٧٥ الى ص ١٨١ .

(٣) المرجع السابق جـ ٩ ص ٢١٤ .

كتبوا : « محمد وعلى خير البشر ، فمن رضى شكر ومن أبى فقد كفر » وأنكر ذلك الكرخيون فأرسل الخليفة القائم بأمر الله نقيب العباسيين ونقيب العلويين للتحقق من الأمر فثبت لهما أن أهل الكرخ على صدق . فأمر الخليفة بوقف ماكان قائما بينهم من قتال . ولـكنهم لم يمتثلوا لأمره وتدخل الحنابلة ومنعوا أهل السنة من شرب ماء دجلة فأشفق جماعة من القائمين بالأمر على أهل السنة وقدموا لهم ماء دجلة ممزوجاً بماء الورد . وحدث أن قتل هاشمى فحمله أهله وطافوا بنعشه فى المدينة وأثار هذا الحادث نفوس أهل السنة فتجمعوا وتوجهوا إلى قبور الملوك والوزراء من بنى بويه وأعملوا فيها النهب والسلب وتفاقمت الحوادث وازدادت حدتها وبلغت درجة كبيرة من الفوضى والاضطراب . وتتابعت الحوادث بين أهل السنة والشيعة .

وحدث فى عام ٤٤٤هـ (١) أن اختطفت جماعة من القواد الأتراك من أهل السنة رجلا شيعيًّا من أهل الكرخ وذبحوه على مرأى من نسائه فصرخن ونثرن شعورهن فاجتمع حولهن العامة من أهل الكرخ وقام قتال عنيف بينهم وبين هؤلاء القواد أحرقت فيه أسواق الكرخ وتكبد الكرخيون خسائر فادحة وانتهت المسألة بانسحاب القواد الأتراك وأسفهم على ما بدر منهم .

وفى عام ٤٤٧ هـ (٢) قامت فتن بين فقهاء الشافعية والحنابلة عندما قال الآخرون بمنع الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم ، والترجيع فى الأذان ، والقنوت . فغضبت فقهاء الشافعية لذلك وعزّ عليهم الأمر فرجع الحنابلة عما قالوا به وهدأ الحال .

هذه أمثلة لما كان يسود بغداد من فتن دينية فى نهاية أيام البويهيين وبداية ظهور السلجوقيين ولم تكن بغداد وحـدها مرتعا للحوادث العنيفة بل امتدت نيران الفتنة إلى غيرها من البلدان وكانت نيسابور مسرحاً لفتن كثيرة حدثت أيام إمام الحرمين .

---

(١) ابن الأثير فى الكامل جـ ٩ ص ٢٢١ .
(٢) ابن الأثير فى الكامل جـ ٩ ص ٢٣٠ .

يحكى أنه حدث بنيسابور فيما بين عامى ٤٤٣ هـ (١) و ٤٤٧ هـ فتن سببها أنه نقل إلى الملك طغرلبك أن الشيخ أبا الحسن الأشعرى يقول بكذا وكذا ... وقيلت عنه أمور لاتليق بالدين والسنة فأمر بلعنه ونادى أهل نيسابور بتكفير من يقول بذلك . فعز ذلك على الأشاعرة وغضب الإمام القشيرى لما نسب إلى الإمام الأشعرى من تهم مشينة واستدعى السلطان جماعة من رؤوس الأشاعرة ومن بينهم القشيرى . وسألهم فأنكروا ذلك أو أن يكون الأشعرى قال بذلك . فقال السلطان : « لعنا من يقول ذلك » .

ويعطينا السمعانى (٢) تفاصيل أخرى عما جرى للأشاعرة فى ذلك الحين فيذكر أنهم منعوا من الخطابة والوعظ وانتهى الأمر إلى توظيف من يلعنهم فى الجمعة كما استعد أبوسهل البسطامى وجمع أعواناً وقاتل الأمير . وعظمت المحنة وداهم السلطان أبا سهل فاعتقله وحبسه .

تذكر بعض التراجم أنه (٣) قد ترتب على هذه الفتنة أن نزح إمام الحرمين ومن معه من أئمة المذهب السنى عن نيسابور وأخذوا يطوفون بالبلاد الأخرى. وبظهور الملك ألب أرسلان عام ٤٥١ هـ ووزيره نظام الملك قضى على هذه الفتن واستتبت الأحوال ورجع من كان قد هاجر من أهل السنة إلى دياره . وساد الهدوء والاستقرار ولاية نيسابور وإن كان هذا لم يمنع وجود الكثير من الفرق الدينية المختلفة .

---

(١) ابن كثير ـ البداية والنهاية جـ ١٢ ص ٦٢ .
القرمانى بهامش تاريخ الكامل لابن الأثير : أخبار الدول وآثار الأول جـ ٨ ص ١٥٨ .
القزوينى ـ كتاب آثار البلاد وأخبار العباد ص ٣١٧ و ٣١٨ .
ابن خلدون ـ كتاب العبر وديوان المتبدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر جـ ٣ ص ٤٦٨ .
(٢) السمعانى ـ الانساب من ترجمة أبى سهل البسطامى جـ ١١ ق ٢ ل ١٧٩ .
(٣) السبكى ـ طبقات الشافعية الكبرى جزء ٣ ص ٢٥١ .
ابن العماد ـ شذرات الذهب جـ ٣ ص ٣٥٨ .

اهتم الوزير نظام الملك بنشر العلم ففتح الكثير من المدارس وكان يدرس بها المذهب السنى . وكان من أهم تلك المدارس ما أشار إليه السبكى فى نصه :

« وبنى (يقصد نظام الملك) مدرسة ببغداد ومدرسة ببلخ ومدرسة بنيسابور[1] ومدرسة بهراة ، ومدرسة بأصبهان ، ومدرسة بالبصرة ومدرسة بمرو ، ومدرسة بآمل طبرستان ومدرسة بالموصل »[2] .

وقد جلس على رأس كل مدرسة منها إمام سنى للتدريس والوعظ والفتوى . يذكر السبكى أن الإمام أبا إسحق الشيرازى كان على رأس المدرسة النظامية ببغداد ، كما أن إمام الحرمين كان على رأس مدرسة نيسابور .

ويمكن القول بأن هذه المدارس كان لها أثرها فى تثبيت قواعد المذهب السنى وإعلاء شأنه فقويت شوكة متبعيه وأصبحت لهم حيثية بعد أن كانوا قلة مستضعفة .

ذكر المقدسى فى كتابه « أحسن التقاسيم » عند حديثه عن إقليم خراسان أن فريق أولاد على كانوا على رفعة فى المركز وعلو فى المقام وأن الهاشميين لم تتح لهم فرصة الظهور لزيادة سلطة أولاد على[3] فإذا علمنا أن الدولة السلجوقية كانت سنية المذهب أدركنا أن فى تثبيت دعائم المذهب السنى تقوية لدعائمها وتمكينا لها فى الحكم حتى أنه عندما وشى الواشون بنظام الملك لدى « ملك شاه » بأن الأموال التى ينفقها على المدارس تقيم جيشاً يركز رايته فى صور القسطنطينية. أجاب نظام الملك ملك شاة فى معرض الدفاع عن نفسه بقوله :

(١) ذكر السبكى أن هذه المدرسة ليست أول المدارس بنيسابور وانما كان فيها حين بنيت أربع مدارس : مدرسة البيهقى والمدرسة السعدية التى بناها الأمير نصر بن سبكتكين أخو السلطان محمود لما كان واليا على نيسابور ومدرسة بناها أبو سعيد اسماعيل بن على الاستراباذى – ومدرسة بنيت للأستاذ أبى اسحق الاسفراييني – طبقات الشافعية الكبرى جـ ٣ ص ١٣٧ .

(٢) نفس المرجع السابق جـ ٣ ص ١٣٧ .

(٣) نفس المرجع السابق ص ٢٢٣ .

« إنى أقمت جيشاً يسمى جيش الله إذا نامت جيوشك ليلا قامت جيوش الليل على أقدامها صفوفاً بين يدى ربها فأرسلوا دموعهم وأطلقوا ألسنتهم ومدوا إلى الله أكفهم بالدعاء لك ولجيوشك فأنت وجيوشك فى حضانتهم تعيشون وبدعائهم تتبتلون وببركاتهم تمطرون وترزقون »[1] .

فنظام الملك بفتحه هذه المدارس والإنفاق عليها بسخاء لم يكن يرمى إلى نشر العلوم الدينيـــة فحسب وإنما كان يهدف فى قرارة نفسه إلى تحقيق غاية أخرى بعيدة وهى جمع القلوب حول أمراء الدولة الســـلجوقية وطبعها على الإخلاص والولاء لهم والدعاء بنصرتهم .

هذه صورة لعصر إمام الحرمين من ناحيتيه السياسية والدينية وهو عصر سادته عوامل مختلفة : سيطر فيه الشيعة على الحكم وتحرج موقف أهل السنة واضطربت أحوالهم هذا إلى جانب تفشى الفوضى الدينية وقيام الفتن العديدة ، وعلى الأخص بين أهل السنة والشيعة ، ثم انتقال السلطة من الشيعة إلى أهل السنة واستتباب الأمور لهم ، فأخذوا على عاتقهم التمكين للمذهب السنى والمحافظة عليه من الخصوم .

يتضح مما تقدم أن اضطراب الأحوال السياسية قد أدى إلى ارتباك الأمور الدينية ، غير أن ذلك لم يكن له صدى فى النواحى العلمية بل على العكس ازدهرت العلوم وانتشرت المعارف فالتاريخ يحدثنا بأن خلفاء الدولة العباسية قد شجعوا العلم على اختلاف ألوانه . . . فأمروا بنقل الفلسفات اليونانية والهندية والفارسية فضلا عن عنايتهم بالعلوم الإسلامية وقد اقتفى أثرهم وسار على منوالهم أمراء الدويلات الناشئة فى العصر العباسى الثانى وجعلوا من العلم ميداناً للمناقشة وجمعوا العلماء حولهم وقربوهم إليهم حتى أن الباحث يلمس أن العلوم الكلامية والفلسفية والصوفية كلها قد سارت جنباً إلى جنب فى طريق التقدم والنضوج .

(١) زكى مبارك – الأخلاق عند الغزالى طبع القاهرة ص ١٦ .

أما بالنسبة للعلوم الكلامية فقد حفل القرن الخامس الهجرى بكبار رجال الكلام من معتزلة وأشعرية وخوارج وقدرية ومعطلة وشيعة وكرامية وغير أولئك وهؤلاء ممن تعرضوا لمسائل العقائد بالنقاش والدرس (١) .

وقـــد كان بنيسابور فى عصر إمام الحرمين كثير من الأئمة من بينهم عبد السلام بن يوسف — ابن بغداد — أبو يوسف القزوينى (٢) المعتزلى المتوفى سنة ٤٨٢ هـ كان له تفسير كبير يقع فى سبعمائة مجلد . وكان مولعاً بجمع الكتب حتى أنه قيل إن لديه منها عدداً وفيراً . وقد اشتهر عن هذا المعتزلى أنه كان يفتخر بالاعتزال ويتظاهر به حتى على باب نظام الملك ويقال إنه من بين ما أهداه الوزير (كتاب غريب الحديث) بخط أبى عامر ابن حيويه فى عشرة مجلدات فوضعه نظام الملك بدار الكتب .

كما كان من بينهم أيضاً أبو تراب المراغى(٣) وهو أشعرى وكان مفتياً بنيسابور وتوفى عام ٤٩٢ هـ . ومن الأشاعرة أيضاً الذين كانوا بنيسابور أبو محمد المصرى (٤) المتوفى عام ٤٨٦ هـ وعلى بن أحمد بن أحمد بن على الواحدى المتوفى عام ٤٦٨ هـ (٥) وأبو الحسن الباخرزى المتوفى عام ٤٦٧ هـ (٦) وأبو بكر البيهقى المتوفى عام ٤٥٨ هـ (٧) وغير أولئك وهؤلاء من الذين كانت لهم شهرتهم حتى أن البرقانى(٨) وهو من أفضل أهل العصر قد نصح أبا حامد البيهقى بالخروج إلى نيسابور قائلا :—

---

(١) البغدادى — الفرق بين الفرق جـ ص .
(٢) السبكى — طبقات الشافعية الكبرى جـ ٣ ص ٢٣٠ .
(٣) نفس المرجع جـ ٣ ص ٢١٩ .
(٤) نفس المرجع جـ ٣ ص ٢٣٧ .
(٥) نفس المرجع جـ ٣ ص ٢٨٩ .
(٦) نفس المرجع جـ ٣ ص ٢٩٨ .
(٧) نفس المرجع جـ ٣ ص ٣ .
(٨) نفس المرجع جـ ٣ ص ١٣ .

« ففيها جماعة ، حتى إذا فاتك واحد أدركت من بقى بها فتكسب رحلتك»

يظهر لنا من ذلك أن عصر إمام الحرمين كان يزخر بعلماء الكلام وأن نيسابور بالذات كانت تضم عدداً كبيراً منهم ومن ثم نستطيع أن ندرك إلى أى حد تيسر لإمام الحرمين أن يعيش فى أجواء تمثلت فيها آراء ومعتقدات متباينة .

فإن أردنا بعد ذلك أن نقف على ما كانت عليه العلوم الفلسفية فى ذلك العصر ، نجد أن القرن الخامس الهجرى قد تميز فى بدايته بوجود شخصية كبيرة كان لها الأثر كل الأثر فى تغذية العقول والنفوس بالآراء الفلسفية العميقة ، ألا وهى شخصية أبى على الحسين بن عبد الله بن سينا .

ولا ينكر أحد ما كان لهذا الفيلسوف من وفرة ودقة فى الإنتاج العلمى واتساع مجال البحث وتنوع فروعه .

وكان لابن سينا تلامذة عديدون منهم أبو عبد الله المعصومى (١) ، وقد كانت مصنفاته فى الخزانة النظامية ومن هذه المصنفات : كتاب المفارقات وكتاب فى اعداد العقول وآخر فى الأفلاك وترتيب المبدعات وكلها كتب فى الفلسفة ، فإذا أخذنا فى الاعتبار أن الخزانة النظامية بنيسابور كانت بين يدى إمام الحرمين فليس ببعيد أن يكون قد اطلع على هذه الكتب وألم بالكثير من الآراء التى تضمنتها هذه المصنفات الفلسفية .

وكان لهذا الفيلسوف مكانته فى العلوم الفلسفية وقد قال عنه ابن سينا أنه « هو منى بمنزلة أرسطو من أفلاطون » مما يدل على أن له قدماً راسخة فى الفلسفة .

ومن الفلاسفة الذين ولدوا وأقاموا بنيسابور عمر الخيامى(٢) وقد قيل

---

(١) الشهرزورى — نزهة الأرواح لوحة ١٩١ يمين .
البيهقى — تاريخ حكماء الاسلام ل ٥٧ يسار . وفى طبعة لاهور ص ٩٥ — ٩٦ .
(٢) الشهرزورى — نزهة الأرواح لوحة ١٩٥ يمين . البيهقى — تاريخ حكماء الاسلام لوحة ٦٦ يسار ومطبوع بعنوان كتاب تتمة صوان الحكمة : تحقيق الأستاذ محمد شفيع ، طبع الهند عام ١٣٥٠ هـ ص ١١٢ مع ملاحظة أن الشهرزورى ينقل كثيرا «عن البيهقى». ويراجع عن عمر الخيام أيضا كتاب رباعيات الخيام للأستاذ أحمد حامد الصراف ، الطبعة الثانية ، بغداد عام ١٩٤٩ م .

عنه أنه كان « يلى أبا على فى إجراء علوم الحكمة » وله إلى جانب ذلك الرباعيات ، ومختصر فى الطبيعيات ، ورسالة فى الوجود ، ورسالة فى الكون والتكليف ، وهى رسالة تتضمن جواب أبى عمر الخيامى عن سؤال القاضى الإمام محمد النسوى عن حكمة الخالق فى خلق العالم وكلمة التكليف .

كل هذا يجعلنا نرى أن عصر إمام الحرمين كان غنياً بالمصنفات الفلسفية وأن نيسابور بالذات كان بها الكثير منها ، غير أن الفلسفة لم تكن من العلوم التى كانت تنظر لها جميع الفرق بعين الرضا والارتياح . فقد ظهر أن الحنابلة كانوا يناهضون العلوم الفلسفية ولايرون فيها طائلا وقد هاجموا إمام الحرمين من أجل اشتغاله بها واتهموه بتهم لو ثبتت عليه لانتهت به إلى الكفر والإلحاد (١) .

وإذا انتقلنا بعد ذلك إلى العلوم الصوفية نجد أن هذا العصر كان حافلا بكبار رجال التصوف المتحققين ، منهم أبو على الحسن بن على الدقاق المتوفى عام ٤١٥ هـ وأبو عبد الرحمن السلمى ، وأبو العباس القصار ، وأبو القاسم القشيرى ، وأبو سهل الخشاب .

غير أنه كان إلى جانب هؤلاء الأئمة المتحققين كثير ممن يدعون التحقق بأعلى الأحوال « وهم فى الحقيقة بعيدون عن ذلك كل البعد ، فيذكر القشيرى عنهم أنهم كانوا محوا من كل ذلك » (٢) .

وتلك حالة لم يرض بها القشيرى ووصفها بأنها بلاء للعلوم الصوفية .

وكان يرى القشيرى وهو الذى يمكن أن يعتبر ممثلا لآراء الصوفية فى عصره أن التصوف « ملازمة للكتاب والسنة مع مجاهدة النفس لأهوائها ومداومة النضال مع نزواتها والبعد عن البدع والشهوات والرخيص من الأعمال » فهو يعتبر أهل التصوف حفاظاً للعقيدة الإسلامية من عبث العابثين ؛ فخير القوم لديه النبى صلى الله عليه وآله وسلم ثم الصحابة ثم التابعين ثم أتباع التابعين ثم أهل

(١) أنظر ص ٥٠ من هذا التقديم .
(٢) القشيرى – الرسالة القشيرية ص ٣ – ٤ .

السنة الذين هم فى اعتباره أهل التصوف . وهو حين يشير إلى زوال الورع من النفوس ، وارتحال حرمة الشريعة عنها وقلة المبالاة بالدين وعدم التمييز بين الحلال والحرام والاستخفاف بأداء العبادات والاستهانة بالصوم والصلاة والانغماس فى المغفلات واتباع الشهوات وقلة المبالاة بتعاطى المحظورات (١) إنما يحصر التصوف فى أنه طريقة لتهذيب النفس والقرب بها من حال نفس المسلم المثلى . وهى حال النبى صلى الله عليه وآله وسلم الذى ارتقى بنفسه من بدايته إلى نهايته والذى سار على منواله شيوخ هذه الطريقة فى آدابهم وأخلاقهم ومعاملاتهم وعقائدهم وماأشاروا إليه من مواجيدهم ، ولذا يرى القشيرى « أن شيوخ هذه الطائفة قد أقاموا قواعد طرقهم على أصول صحيحة من التوحيد » (٢) .

فكأن العلوم الصوفية فى عصر إمام الحرمين كانت فى حالة يرثى لها فيما بين العامة والناس وأن التحقق بالحقيقة العلية كان مقصوراً على أئمة كبار مثل القشيرى وغيره . والتصوف فى ذلك الحين لم يكن يخرج عن اتباع ما نص عليه الكتاب والسنة وأنه كان طريقة لطائفة من المؤمنين وفقهم الله للقيام بآداب العبودية واختصهم بفضله فقاموا بأداء ما عليهم من واجبات التكليف فاستنارت قلوبهم وعرفوا الحق وتحققوا به .

نخرج من هذا كله بأن عصر إمام الحرمين فى ناحيته الثقافية كان خصباً يفيض بالإنتاج العلمى الكبير ، فقد نمت فيه العلوم وتقدمت المعارف من كلامية وفلسفية وصوفية .

وتكون حياة إمام الحرمين على اختلاف أطوارها التى سنتحدث عنها واحداً واحداً فيما يلى تقع فى عصر له قيمته العلمية ؛ ولننظر الآن فى هذه الأطوار :

هناك طور يبدأ بمولد إمام الحرمين ويشتمل على نشأته الأولى التى كانت بمدينة نيسابور وينتهى هذا الطور بوفاة والده « عبد الله » وطور آخر اشتغل

(١) القشيرى – الرسالة القشيرية ص ٣ و ٤ .
(٢) المرجع السابق ص ٣ .

فيه بالتعليم إلى جانب استمراره فى تحصيل العلوم وينتهى برحيله عن نيسابور .
وطور ثالث كان ينتقل فيه من بلد إلى بلد يقيم حيناً فى جهة ثم يرتحل عنها مولياً وجهه شطر جهة أخرى يلتقى فيها عالماً من العلماء ويكتسب معرفة جديدة أو يبقى بها ليدرس ويناظر وينتهى هذا الطور برجوعه إلى نيسابور . وأخيراً طور هو خاتمة المطاف حيث استقر إمام الحرمين بنيسابور ولم يبرحها إلا فى سفرة قصيرة إلى أصبهان فى أخريات أيامه رجع بعدها إلى نيسابور وينتهى هذا الطور بوفاته .

الطور الأول :

الطور الأول وهو طور النشأة الأولى . وقد صورها السبكى ، فبين أن والد إمام الحرمين قد اعتنى به منذ صغره ، بل من قبل مولده وذلك بأن اكتسب من عمل يده مالا خالصاً من الشبهة اتصل به إلى والدته . فلما ولدته له حرص على أن لا يطعمه طعاما فيه شبهة . فلم يمازج باطنه إلا الحلال الخالص ، حتى يحكى أنه تلجلج مرة فى مجلس مناظرة فقيل له « يا إمام الحرمين ما هذا الذى لم يعهد فيك ؟ فقال : ما أراها إلا آثار بقايا المصة ، قيل وما نبأ المصة ؟ قال : . . . »[1] وهنا يقص السبكى نبأ المصة التى سبق أن ذكرت عند الحديث عن والد الإمام[2] . ثم يسترسل السبكى فيشير إلى أن الإمام قد أخذ الفقه عن والده . وكان والده يعجب به كما ذكر عنه أنه جد واجتهد فى المذهب والخلاف والأصول . وأنه تلقى[3] الحديث عن مشايخ مثل الشيخ أبى حسان وأبى سعد بن عليك وأبى سعد النضروى ومنصور بن دامس . وقد تعذر علينا التعرف على الشيخ أبى حسان لعدم ورود اسمه بالكامل ولم نعثر للأسف

(1) السبكى ـ طبقات الشافعية الكبرى ج ٣ ص ٢٥١ .
ابن العماد ـ شذرات الذهب ج ٣ ص ٣٦٠ .
(2) أنظر ص ١٥ الماضية من هذا التقديم .
(3) الذهبى ـ سير أعلام النبلاء ج ١٠ ق ١ ل ١١٣ .
السبكى ـ طبقات الشافعية الكبرى ج ٣ ص ٢٥٨ .

على أى معلومات عن أبى سعد النضروى ومنصور بن دامس وذلك فيما تيسر لنا الرجوع إليه من مراجع . ولذا نكتفى بما ورد عنهم فى طبقات الشافعية الكبرى من أنهم من المحدثين وأن اتصال عبد الملك بهم كان فى صباه أى فى هذا الطور الأول من حياته .

وقد ورد على لسان عبد الغافر الفارسى[1] أن إمام الحرمين تعلم العربية وكان له فيها حظ عظيم فبرز على السابقين . وحفظ القرآن . فاكتمل له من المميزات ما أعجز الفصحاء . وأقر له بالفضل كل من شاهده أو خالطه حتى قال عنه بعض المترجمين إنه كان عند وفاة والده من الأئمة المحققين .

فالطور الأول طور تلقى دروس فى اللغة والقرآن والحديث والفقه والخلاف والأصول وهذه كلها علوم إسلامية أتقنها الإمام إتقاناً كبيراً . جعل منه إماماً له مكانته كما يقول عنه المترجمون وهو فى سن مبكرة .

ولا غرابة فى ذلك وإمام الحرمين صاحب عقل راجح وذهن متقد وميل طبيعى إلى النقد والبحث والفحص والتمحيص .

فقد عرف منذ نعومة أظفاره بميله إلى النقد . وظهر ميله هذا حين كان يحضر مجالس والده ، وكان يرفض فى قوة مالا يقبله عقله ولو صدر عن والده وكان والده يسر لذلك ويرى فيه علامات النجاح والفلاح .

ومما يروى عن إمام الحرمين أنه كان يردد عبارة كلما وقع على بعض أخطاء لوالده فى كتاباته هى :

« هذه زلة من الشيخ رحمه الله »[2] هذا إلى أن عبارته التى صرح فيها بالانصراف عن العلوم الظاهرة إلى الخوض فى خضم ما نهى عنه أهل الإسلام [3] طلباً للحق إذ قال :

(1) المرجع السابق ج ٣ ص ٢٥٤ .
(2) المرجع السابق ج ٣ ص ٢٥٤ .
ابن العماد ـ شذرات الذهب ج ٣ ص ٢٦٠ .
(3) السبكى ـ طبقات الشافعية الكبرى ج ٣ ص ٢٦٠ .

« لقد قرأت خمسين ألفا فى خمسين ألف ، ثم خليت أهل الإسلام بإسلامهم فيها وعلومهم الظاهرة ، وركبت البحر الخضم وغصت فى الذى نهى أهل الإسلام عنه ، كل ذلك فى طلب الحق ، وكنت أهرب فى سالف الدهر من التقليدوالآن قدرجعت عن الكل إلى كلمة الحق ، عليكم بدين العجائز فإن لم يدركنى الحق بلطف بره فأموت على دين العجائز وتختم عاقبة أمرى عند الرحيل على نزعة أهل الحق وكلمة الإخلاص لا إله إلا الله فالويل لابن الجوينى يريد نفسه » (١) تشير إلى أنه بجانب أنه لم يكن فيما اتصل به من ثقافات وما وقف عليه من معلومات بالعقل الذى يتقبل ما يعرض عليه ، ويقف منه موقفاً سلبياً . دون بحث أو تمحيص ، بل هو على العكس من ذلك قد بحث ودقق ، واستقصى كل ما وصل إلى علمه ، فأخذ بما ثبت لديه أنه حق وترك ما كان فيه زيغ أو شبهة وقد رأى السبكى نفس هذا الرأى فقال : « ظاهر هذه الحكاية (يقصد العبارة السالفة الذكر) عند من لا تحقيق عنده البشاعة وأنه خلى الإسلام وأهله وليس هذا معناها ، بل مراده أنه أنزل المذاهب كلها فى منزلة النظر والاعتبار غير متعصب لواحد منها بحيث لا يكون عنده ميل يقوده إلى مذهب معين من غير برهان ثم توضح له الحق وأنه الإسلام وكان على هذه الحالة عن اجتهاد وبصيرة لا عن تقليد » ويرى السبكى زيادة على ذلك أن هذا مقام عظيم لا يتأتى إلا لمن أوتى قدرة خاصة « وبلغ من صحة الذهن مبلغ هذا الرجل » (٢) يقصد إمام الحرمين .

فالإمام إذن كان يتمتع بصفات ذهنية عالية ، هذا إلى جانب ما اشتهر عنه من حبه للاطلاع على الكتب فى مختلف العلوم فقد روى عنه أنه كان يصل ليله بنهاره فى القراءة وأنه عندما شرع فى تلقى دروس على يد أبى القاسم الاسفراينى (٣) بعد وفاة والده كان قد طالع مائة مجلد ودرس على يد هذا

(١) المرجع السابق ج ٣ ص ٢٦٠ .

(٢) المرجع السابق ج ٣ ص ٢٦٠ .

(٣) أنظر ص ٣١ التالية من هذا التقديم .

الأستاذ بضعة أجزاء فقط أو « أجزاء معدودة » كما يقول .

فإذا عرفنا أن والده أكثر أولئك الذين لازمهم عبد الملك فى هذا الطور الأول من حياته وأخذنا فى اعتبارنا ما اتصف به ذلك الوالد من حب وتقدير للعلوم الإسلامية وما كان عليه فى فترة من فترات حياته من ميل إلى التحرر من قيود التقليد والنقول الخاطئة التى تخالف المعقول وأنه كان يشجع ولده على النقدويستحسن مراجعته له ، بل تخطيئه إياه ، سواء حدث ذلك بينه وبين ولده أو كان على مسمع من آخرين . أمكننا أن نقرر أن والده قدمهد له السبيل بحق للتوجــه وجهة أولئك الذين ينزلون كل مذهب منزلة البحث والتمحيص وأنه قد هيأ لابنه الظروف التى سمحت له باستيعاب أكبر قسط من العلوم الإسلامية على اختلافها على نحو ما تبين لنا من دراسة هذه الفترة من حياته .

الطور الثانى :

مهد الطور الأول من حياة إمام الحرمين السبيل لأن يكون من كبار أئمة المسلمين وأظهرنا المترجمون على أن ثقافة عبد الملك الإسلامية التى وفرها له والده قبل وفاته قد جعلت منه إماماً من الأئمة المحققين وهو ما زال دون العشرين ثم ذكروا أنه ما كاد يتوفى والده حتى قعد وهو فى هذه السن المبكرة للتدريس مكان ذلك الوالد . إلا أن رغبة عبد الملك فى الاستزادة من العلم قد دفعته إلى الذهاب إلى الاسفراينى . فدرس عليه بعض أجزاء فى الأصول . فى مدرسة البيهقى وكان يبكر يومياً بالذهاب إلى مجالس الخبازى (١) ليقتبس من العلوم ما استطاع إلى ذلك سبيلا ويجدر بنا قبل أن نسترسل فى الحديث عن الإمام فى هذا الطور أن نذكر شيئاً عن ثقافة أساتذته الذين تلقى عنهم العلم فى هذه الفترة من حياته .

ونبدأ بالكلام عن أبى القاسم الاسفراينى وهو أبو القاسم عبد الجبار ابن على بن محمد بن حسكان الاسفراينى الإسكاف . وكان أبو القاسم رجلا

(١) السبكى — طبقات الشافعية الكبرى ج ٣ ص ٢٥٤ .
ابن خلكان — وفيات الاعيان ج ١ ص ٣٦١ .

من أفاضل العصر ورؤساء الفقهاء والمتكلمين من أصحاب الأشعرى وقد اشتغل بالمناظرة والتدريس والفتوى . وسلك طريقة السلف فى الزهد والفقر والورع وتوفى عام ٤٥٢ هـ [١] وقد سبقت الإشارة إلى أن إمام الحرمين لم يدرس على أبى إسحق الاسفرايينى ابتداء علم الأصول بل كان قد قرأ قبل أن يسمع له مائة مجلد فى هذا العلم وهذا يدل على أن الإمام لم يعتمد فى تكوين ثقافته الأصولية على الاسفرايينى وإنما كان لاطلاعه الواسع وميله للبحث أثر كبير فى هذه الناحية أيضاً .

أما البيهقى وهو أحمد بن الحسين بن ع بن عبد الله البيهقى الخسروخردى. كان على مذهب الشافعى وقد أخذ الفقه عن أبى الفتح ناصر بن محمد العمرى المروزى اشتهر بالحديث ورحل فى طلبـــه إلى العراق والحجاز وسمع بخراسان من المشايخ المعاصرين له . وكانت له مصنفات عديدة قيل إنها تبلغ الألف وهو أول من جمع نصوص الشافعى فى مجلدات . ومن مصنفاته السنن الكبير ، والسنن الصغير ، ودلائل النبوة ، والسنن والآثار ، وشعب الإيمان ، ومناقب الشافعى — ويحكى عنه أنه كان يقنع من الدنيا بالقليل . سار على نهج السلف وتوفى عام ٤٥٨ هـ بنيسابور ثم نقل إلى بيهق [٢].

وأخيراً الخبازى وهو شيخ القراء أبوعبد الله محمد بن على بن محمد النيسابورى الخبازى[٣] حدث بصحيح البخارى وهو شيخ نبيل عارف بالقرآن . وكان يلجأ إليه الكثيرون يستشيرونه فى أمورهم وتوفى عام ٤٤٩هـ .

نرى من هذه التراجم أن هؤلاء الأساتذة كانوا يتميزون بالسير على نهج السلف وإذا كان لأسلوبهم هذا من أثر فى إمام الحرمين ، فيكون فيما قيل عنه فى أخريات أيامه من أنه قد رجع إلى « دين العجائز »[٤].

---

(١) السبكى ـ طبقات الشافعية الكبرى جـ ٣ ص ٢٢٠ .

(٢) ابن فضل الله العمرى ـ مسالك الأبصار جـ ٣ ق ٢ ل ٢٩٤ ـ ٢٩٥ .
ابن كثير ـ البداية والنهاية جـ ١٢ ص ٩٤ .

(٣) الذهبى ـ سير أعلام النبلاء جـ ١١ ق ١ ل ١٥٩ .

(٤) السبكى ـ طبقات الشافعية الكبرى جـ ٣ ص ٢٦٠ .

وسنرجع إلى تفصيل القول فى هذه النقطة فى موضعه بعد[١] .

تحدثنا المراجع أن إمام الحرمين لم ينقطع عن التدريس فى هذا الطور من حياته فظل يدرس بمدرسة أبيه طوال مدة إقامته بنيسابور إلى أن نزح عنها ، يفسر المذهب الشافعى ويدافع عن العقيدة الأشعرية .

وقد اجتهد فى المناظرة[٢] وظل يواظب عليها متخذاً منها وسيلة لنقد آراء الخصوم وكانوا كثرة فى ذلك الوقت ولعل الذى دفعه إلى الاهتمام بأمور الدين ماكانت عليه من اضطراب وفوضى مما أدى إلى امتهان المذهب السنى . فقد ظهرت فى ذلك الحين فتن عديدة ، أشرنا إليها عند حديثنا عن عصر الإمام[٣] وبينا أن التطاحن بين أهل السنة والشيعة قد أسفر عن تأزم الأمور بين الفريقين وامتهان كرامة أهل السنة ويذكر بعض المؤرخين أن هذا كان له أثره فى نزوح الأشاعرة عن نيسابور ومن بينهم إمام الحرمين ؛ وسواء كان خروج إمام الحرمين من نيسابور بسبب الفتن الدينية أم لا ، فإن خروجه هذا الذى وقع حوالى عام ٤٤٦ هـ — ٤٤٧هـ[٤] بداية الطور الثالث من أطوار حياته :

الطور الثالث :

وهو الطور الذى يبدأ بخروج عبد الملك من نيسابور وينتهى برجوعه إليها . وتختلف المراجع بصدد الدافع إلى خروج الإمام من نيسابور :

فبينما يذكر عبد الغافر الفارسى ويوافقه على ذلك السبكى وابن العماد[٥]

---

(١) انظر ص ٥٨ الآتية من هذا التقديم .

(٢) السبكى ـ طبقات الشافعية الكبرى جـ ٣ ص ٢٥٢ .

(٣) انظر ص ٢٠ ، ٢١ من هذا الفصل .

(٤) انظر ص ٣٤ ، ٣٥ الآتيتين من هذا التقديم .

(٥) ترجمة عبد الغافر الفارسى لشيخه امام الحرمين ـ طبقات الشـــافعية الكبرى جـ ٣ ص٢٥٤ و ٢٥٥ ـ تبيين كذب المفترى لابن عساكر ص ٢٨٠ .
السبكى ـ طبقات الشافعية الكبرى جـ ٣ ص ٣٥٨ ـ
ابن العماد ـ شذرات الذهب جـ ٣ ص ٣٥٨ .

أن عبد الملك اضطر إلى السفر والخروج من البلد مع بعض المشايخ ومن بينهم أبي القاسم القشيري ، وذلك بعد أن ظهر التعصب بين الفريقين ، ويذكر ابن خلكان أنه سافر إلى بغداد ولقي بها جماعة من العلماء(1) ، كما يذكر ابن الجوزي أن الإمام تنقل في كثير من البلاد وتلقى العلم في بغداد على أبي محمد الجوهري (2)

وأخيراً قال ابن تغري بردي : إنه سمع بالبلاد وجاور بمكة ثم عاد إلى نيسابور(3) دون أن يشير كل منهم إلى التعصب بين فريقي أهل السنة والشيعة كسبب لخروج مشايخ الأشاعرة من نيسابور .

فالمترجمون الذين لايذكرون التعصب الديني كدافع لنزوح مشايخ الأشاعرة عن نيسابور يرون أن هؤلاء المشايخ قد سافروا ليتلقوا العلم عن كبار العلماء وأجلة المشايخ من مختلف البلدان على عادة القوم في ذلك الحين .

غير أننا نميل إلى ترجيح ما ذكره عبد الغافر الفارسي في ترجمته لشيخه إمام الحرمين من أنه نزح عن نيسابور بسبب ما كان قائماً بها من الفتن الدينية بين الأشاعرة والشيعة وذلك لما لأقوال عبد الغافر من أهمية ، فقد كان تلميذاً للإمام وأعلم بظروف حياته عن غيره من المترجمين . هذا إلى أن بعض المؤرخين يؤيدون ما ذكره عبد الغافر الفارسي . فقد انتهينا عند دراستنا لعصر إمام الحرمين(4) إلى أن هناك كثيراً من الفتن الدينية في ذلك العصر بنيسابور وأن الأشاعرة خرجوا منها بسببها .

وسواء كان خروج علماء الأشاعرة من نيسابور يرجع إلى الفتن الدينية أو إلى غير ذلك من الأسباب فالمؤكد أنهم استغلوا فترة ابتعادهم عن نيسابور أحسن استغلال فجالسوا كبار العلماء وقعدوا للمناظرة في أمور الدين والدفاع عنه .

(1) وفيات الأعيان ج 1 ص 361 .
(2) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ص 18 .
(3) النجوم الزاهرة ج 5 ص 121 .
(4) أنظر ص 20 السابقة من هذا التقديم .

خرج إمام الحرمين من نيسابور وقصد العسكر ومنها إلى بغـــداد (1) ويذكر ابن الجوزي (1) أن دخول إمام الحرمين بغداد كان وقت دخول الغز بها . فإذا عرفنا أن الغز — وهم جند من الأتراك — قد دخلوا بغداد مع طغرلبك عام ٤٤٧هـ (3) كان تاريخ دخول الإمام بغداد في هذا العام ولذا قررنا أن يكون تاريخ خروج الإمام من نيسابور حوالي عام ٤٤٦ هـ ، وقيل عن الإمام إنه أثناء إقامته ببغداد سمع لبعض كبار العلماء وأخذ عنهم ، كما جلس للمناظرة والدفاع عن أمور الدين حتى ذاع صيته واشتهر أمره (4) وليس لدينا معلومات عن مدى ما قضاه إمام الحرمين من الوقت ببغداد .

رحل الإمام بعد ذلك إلى الحجاز وأقام بمكة وجاور بها أربع سنوات (5) يناظر ويفتي وينشر العلم ، حتى لقب بإمام الحرمين كما سبق أن أشرنا إلى ذلك (6)

ورد عن الإمام إلى جانب ذلك أنه كان يقضي ليله طائفاً متعبداً في الكعبة الشريفة . حتى صفت نيته مع الله ، وذلك على حد مايذكره السبكي : « وجاور بمكة أربع سنين يدرس ويفتي ويجتهد في العبادة ونشر العلم حتى شرف به ذلك النادي وأشرقت قلاع ذلك الوادي وأسبلت عليه الكعبة ستورها وأقبلت عليه وهو يطوف بها كلما اسود جنح الليالي بيض ديجورها وصفت

(1) السبكي — طبقات الشافعية الكبرى ج 3 ص 252 وأيضا ترجمة عبد الغـــافر ص 254 و 255 من نفس المرجع المذكور .
ابن خلكان وفيات الأعيان — ج 1 ص 361 .
ابن العماد — شذرات الذهب ج 3 ص 358 .
ابن الجوزي — المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ج 9 ص 18 .
ابن تغري بردي — النجوم الزاهرة ج 5 ص 121 .
(2) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ص 19 .
(3) ابن الأثير — تاريخ الكامل ج 9 ص 227 .
(4) انظر هامش (1) من هذه الصفحة .
(5) نفس المراجع السابقة .
(6) انظر ص 8 السابقة من هذا التقديم .

نيته مع الله . فلو كانت الصفا ذات لسان لشافهته جهاراً وشكرت له المسعى بين الصفا والمروة إقبالا وإدباراً »[1] .

فإذا عرفنا أن إمام الحرمين قد خاض فى علوم الصوفية وأنه كان يبكى الحاضرين ببكائه لاحتراقه فى نفسه وتحققه بما يجرى من دقائق الأسرار . أمكننا القول بأن طوافه بالكعبة الذى ترتب عليه صفاء نيته مع الله ، قد يكون فترة مجاهدة لنفسه ليخلصها من المادة وشوائبها ، وذلك لكى يصل إلى التحقق بالمعرفة السنية . وسواء أكانت هذه الفترة فترة مجاهدة أم لا ، فالثابت لدينا أن إمام الحرمين خاض فى علوم الصوفية ولو أنه ليس لدينا معلومات أكيدة عن متى وأين خاض فى هذه العلوم ؟

رجع إمام الحرمين إلى نيسابور[2] بعد أن قضى بمكة أربع سنوات وذكر السبكى[3] أن واقعة الرجوع — هذه — كانت بعد انتهاء نوبة التعصب — بين أهل السنة والشيعة — باعتلاء الملك ألب أرسلان كرسى الحكم بنيسابور وعمله على إرجاع شيوخ الأشاعرة الذين هاجروا من قبل عن ديارهم .

فإذا أخذنا بما قال به ابن الأثير فى كتاب تاريخ الكامل[4] وبحث زامباور فى كتاب « معجم الأنساب والأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامى » [5] من أن الملك ألب أرسلان اعتلى كرسى الحكم فى عام ٤٥١ هـ وأنه عمل بعد ذلك

(١) السبكى — طبقات الشافعية الكبرى جـ ٣ ص ٢٥٢ ، ٢٥٧ .
ابن العماد — شذرات الذهب جـ ٣ ص ٣٦٠ .
ابن خلكان — وفيات الأعيان جـ ١ ص ٣٦١ .
(٢) السبكى — طبقات الشافعية الكبرى جـ ٣ ص ٢٥٣ .
ابن خلكان — وفيات الأعيان جـ ١ ص ٣٦٢ .
ابن العماد — شذرات الذهب جـ ٣ ص ٣٦٠ .
(٣) طبقات الشافعية الكبرى جـ ٣ ص ٢٥٥ .
(٤) جـ ٩ ص ٢٥٧ .
(٥) جـ ١ مادة ولاة نيسابور .

على تهدئة الحال وإرجاع مشايخ الأشاعرة إلى ديارهم أمكننا القول بأن تاريخ رجوع إمام الحرمين إلى نيسابور يلى عام ٤٥١ هـ .

الطور الرابع :

يبدأ هذا الطور برجوع الإمام إلى نيسابور ، وينتهى بوفاته ، ويقرن المؤرخون بداية هذا الطور بجلوس الإمام للتدريس بالمدرسة النظامية .

ويبدو أن إمام الحرمين كان معجباً بنظام الملك حتى أنه قد عدد مآثر الوزير السلجوقى ، وأطنب فى ذكر مفاخره وفضله ، وما اكتمل له من صفات . وذلك كله إذ يقول عنه :

« سيد الورى ومؤيد الدين والدنيا ، ملاذ الأمم ، مستخدم السيف والقلم ، ومن ظل الملك بيمين مساعيه ممدوداً ، ولواء النصر معقوداً ، فكم باشر أوزار الحرب ، وأدار رحى الطعن والضرب . فلا يده ارتدت ، ولا طلعته البهية اربدت . ولا عزمه انثنى ولا حده فنى ، قد سدت مسالك المهالك صوارمه ، وتحصنت المملكة بنصله ، وتحسنت الدنيا بأفضاله وفضله وعم بره آفاق البلاد . ونفى السفا عنها بالرشاد ، وجلا ظلام الظلم عدله ، وكسر فقار الفقر بذله ، وكانت خطة الإسلام شاغرة ، وأفواه الخطوب إليها فاغرة ، فجمع الله برأيه الثاقب شملها ، ووصل بيمين هيبته حبلها . وأصبحت الرعايا فى رعايته وادعة ، وأعين الحوادث عنها هاجعة ، والدين يزهو بتهلل أساريره وإشراق جبينه والسيف يفخر فى يمينه . يرجوه الآيس البائس فى إدراج أنينه ، ويركع له تاج كل شامخ بعرنينه ، ويهابه الليث المرتجن فى عرينه »[1] .

ظل إمام الحرمين بالمدرسة النظامية يدرس ويفتى فاشتهر أمره وذاع صيته وقصده الكثيرون من البلاد الأخرى يطلبون العلم على يديه . وتذكر المراجع أن الإمام فى هذه الفترة قد آلت إليه زعامة الأصحاب ورياسة الطائفة

(١) السبكى — طبقات الشافعية الكبرى جـ ٣ ص ١٣٧ — ١٣٨ .

وأسندت إليه أمور الأوقاف[1] كما كان خطيب الجامع المنيعى .

اكتمل نضوج الإمام العلمى فى هذا الطور . وصنف خلاله الكثير من مؤلفاته فى الفقه والكلام والجدل . وقد ثبت لنا بعد الاطلاع على بعض هذه المصنفات أن الإمام كان يجمع إلى جانب الثقافة الدينية الثقافة الفلسفية العميقة ، ويبدو ذلك واضحاً فى ردوده على الفلاسفة من طبائعيين وغيرهم وكتابه الشامل خير مثال يثبت توفر العنصر الفلسفى فى ثقافة الإمام ، هذا العنصر الذى أشار إليه السبكى إشارة عابرة فى سياق ترجمته لإمام الحرمين بحججه القوية ودحض شبهه دحضاً لم يقو مناظره على الصمود له [2] يذكر السبكى هذه الواقعة ولا يعلق عليها بما يشفى غليل الباحث من ذكر تفاصيل عن ثقافته الفلسفية متى وأين وكيف ألم بعلوم الأوائل ؟ .

وأغلب الظن أن موقف السبكى وغيره من المترجمين لإمام الحرمين فيما يتعلق بتوفر العنصر الفلسفى فى ثقافة الإمام يرجع إلى رغبتهم فى تجنب تجريحه بوصفه بالاشتغال بالفلسفة لما كان سائداً فى عصر الإمام من روح معادية للفلسفة وللمشتغلين بها .

حدث أن سافر إمام الحرمين فى هذا الطور إلى أصبهان [3] عندما وقعت الفرقة بين الأصحاب ولقى بها من التقدير والاحترام ما كان جديراً به .

ومما يؤسف له أننا لم نعثر على أثر للمجادلات والمناظرات التى لابد أن تكون قد قامت بينه وبين أولئك الأصحاب الذين ظهرت الفرقة بينهم ، كما أن التراجم لاتذكر من هم أولئك الأصحاب ولا متى كانت نهضته إلى أصبهان ؟

عاد الإمام بعد ذلك إلى نيسابور ، ووجه معظم اهتمامه إلى تصنيف المذهب حتى بلغ فيه درجة عالية من الإتقان ونرجح أن كتابه المعروف بـ «نهاية

(١) السبكى ـ طبقات الشافعية الكبرى ج ٣ ص ٢٥٢ .
(٢) المرجع السابق ج ٣ ص ٢٥٣ .
(٣) المرجع السابق ج ٣ ص ٢٥٥ .

المطالب فى دراية المذهب » والذى يضم اثنين وعشرين جزءاً فى بعض النسخ الخطية أو أكثر من ذلك فى نسخ خطية أخرى موجودة بالمكتبات العامة ، ثمرة جهوده فى تلك الفترة .

ويقال إنه لما قصد أبو الحسن على بن فضالة بن على المجاشعى[1] النحوى نيسابور عام ٤٦٩ هـ قرأ عليه إمام الحرمين النحو وكتاب أكسير الذهب فى صناعة الأدب من تصنيف المجاشعى . كما ورد أن الإمام الشيرازى[2] قصد نيسابور فى هذه الفترة من حياة إمام الحرمين لمهام كلفه بها السلطان وأن إمام الحرمين قد قابله بما يليق بمقامه من حفاوة وإكرام .

وقد مرض إمام الحرمين قبل وفاته بمرض اليرقان[3] ثم برأ منه وعاد إلى التدريس والمناظرة ثم مرض مرضه الأخير . ولما اشتدت عليه وطأة المرض نقل إلى «بشتنقان» لاعتدال هوائها . ولم يبق بها طويلا حتى ظهرت عليه علامات الموت وتوفى بتلك المدينة وقد أجمع المترجمون له على أنه توفى عام ٤٧٨ هـ[4] ؛

ويزيد بعضهم فيذكر الشهر واليوم والوقت من الليـــل ، فقد قال عبد الغافر الفارسى[5] :

(١) السبكى ـ طبقات الشافعية الكبرى ج ٣ ص ٢٥٧ .
(٢) نفس المرجع السابق .
(٣) نفس المرجع السابق .
ابن العماد ـ شذرات الذهب ج ٣ ص ٣٦٠ .
(٤) ابن العماد ـ شذرات الذهب ج ٣ ص ٣٥٨ .
ابن تغرى بردى ـ النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ص ١٢١ ج ١ .
السمعانى ـ الأنساب ل ١٤٤ .
السبكى ـ طبقات الشافعية الكبرى ج ٣ ص ٢٥٧ .
ابن الجوزى ـ المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ج ٩ ص ٢٠ .
ابن خلكان ـ وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٦٢ .
ابن فضل الله العمرى ـ مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار ج ٤ ق ١ ل ٣٨ ، ٤٠ .
(٥) السبكى ـ طبقات الشافعية الكبرى ج ٣ ص ٢٥٧ .
ابن الجوزى ـ المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ج ٩ ص ٢٠ .
ابن خلكان ـ وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٦٢ .

« وبدت عليه مخايل الموت وهو فى ليلة الأربعاء من صلاة العتمة الخامس والعشرين من شهر ربيع الآخر من سنة (٤٧٨ هـ) ثمان وسبعين وأربعمائة » ، الموافق ٢٥ أغسطس سنة ١٠٨٥م[١] .

وقد ورد أنه نقل إلى نيسابور فى الليلة التى توفى فيها[٢] كما قيل إنه حمل بين الصلاتين من يوم الأربعاء إلى ميدان الحسين وصلى عليه ابنه الإمام القاسم بعد جهد جهيد من شدة الزحام ودفن فى داره .

ولم يبق جثمان إمام الحرمين بعــد ذلك فى داره وإنما نقل بعد سنين إلى مقبرة الإمام الحسين[٣] .

وخبر نقل جثمان إمام الحرمين الذى هو إمام من كبار أئمة أهل السنة إلى مقبرة الإمام الحسين غريب بعض الشىء . وقد حاولت أن أتحقق من هذا ، فرجعت إلى الكثير من المراجع التى قد يعثر فيها الباحث على أسماء من دفنوا فى مشاهد الحسين مثل ما كتب عن مقتل الحسين ومدافنه ، أو فى المراجع التى تتحدث عن المدن ومن دفنوا فيها[٤] أو تلك التى تتحدث عن الرحلات[٥] فلم أعثر فيما تيسر لى الاطلاع عليه على أى أثر لأسماء من دفنوا فى مشاهد الإمام الحسين .

ولهذا فنحن نترك مسألة مدفن إمام الحرمين جانباً إلى حين ظهور معلومات جديدة .

ولا نحب أن يفوتنا فى هذا الموضع أن نشير إلى ما ذكره على مبارك فى « الخطط التوفيقية » من أن هناك مسجداً بحى الدرب الأحمر بالقاهرة يحمل

(١) ميخائيل دبانة ـ التقويم العام طبعة دار الهلال سنة ١٨٩٨ م .
(٢) السبكى ـ طبقات الشافعية الكبرى جـ ٣ ص ٢٥٧ .
(٣) نفس المرجع السابق .
ابن العماد ـ شذرات الذهب جـ ٣ ص ٣٦٠ .
(٤) ياقوت ـ معجم البلدان ـ مادة كربلاء .
(٥) ابن رشيد ـ رحلة الحافظ ابن رشيد . مصورة بدار الكتب المصرية برقم ٢٠٥ ت .

اسم الجوينى ، كما أن هناك درباً يسمى (درب الجوينى) بتلك الجهة[١] .

وقد زرت هــذا المسجد فوجدته يقع بالمكان الذى أشــار إليه على مبارك فى كتابه ووجدت به لافتة قديمة العهد ترجع إلى عام ١٢٣٥ هـ وسمرت على الحائط الذى يعلو الضريح وورد بها اسم محمد عبد الله الجوينى . كما وجدت لافتة أخرى أحدث عهداً من الأولى دونت عليها نبذة من سيرة إمام الحرمين وكتب عليها أن خادم المسجد هو الذى جمع ما ورد بها من معلومات عن الإمام وقد ذكر اسم إمام الحرمين بالكامل ؛ ووجود لافتتين باسم الأب والابن على ضريح واحد يعتبر اضطراباً فى المعلومات التى دونت على الضريح

ومما يؤسف له أن هذا المسجد لم يدرج فى الأثريات ، ولذا لا توجد عنه معلومات أكيدة .

ونحن نرى أن هذا المسجد ربما يكون لأحد الجوينيين الذين ماتوا ودفنوا بالقاهرة وهم كثيرون منهم صوفية[٢] ومنهم متكلمون ومنهم فقهاء ، ويكون اسم والد إمام الحرمين واسم والده قد وضعا على الضريح خطأً .

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى قد يكون هذا الضريح ، ضريحاً رمزياً لوالد إمام الحرمين أو لإمام الحرمين نفسه . ونحن نرجح أن يكون لإمام الحرمين لمكانته بين أهل السنة وتكبير الناس له وتعظيمهم إياه . ومما يساعدنا على ترجيح أن يكون الضريح لإمام الحرمين وليس لوالده ،توفر مظاهر آخر من مظاهر الإكبار والتقدير لإمام الحرمين فى نفوس القاهريين وهو وجود شارع فى شبرا مصر يحمل اسم (أبى المعالى) .

(١) على باشا مبارك ـ الخطط التوفيقية جـ ١ ص ١٠٠ .
(٢) يلاحظ أن أخا أمام الحرمين : على بن يوسف الجوينى المعروف بشيخ الحجاز وهو صوفى قد زار مصر ، ولكنه لم يرد أنه توفى ودفن بهـا ـ يراجع السبكى فى طبقات الشافعية الكبرى جـ ٣ ص ٢١٥ .

٢

مصنفات إمام الحرمين

أجمعت التراجم على إثبات وفرة إنتاج إمام الحرمين ، إذ أورد بعضها أسماء بعض مصنفات الإمام : فبينما يذكر السبكى[١] اثنى عشر مصنفاً ، يذكر ياقوت[٢] ثلاثة منها على أنها أشهر تصانيفه ، ويورد ابن خلكان[٣] أسماء عشرة منها ، ويعدد ابن العماد[٤] سبعة مصنفات منها فقط . أما بروكلمان[٥] فيذكر لإمام الحرمين تسعة عشر مصنفاً ، ثبت بالبحث أن اثنين من هذه المصنفات التى يذكرها بروكلمان ليسا لإمام الحرمين وإنما هما لوالده .

وورد بفهرس مخطوطات معهد جامعة الدول العربية[٦] كتاب الكافية فى الجدل ، ومختصر الإرشاد للباقلانى الذى اختصره إمام الحرمين . ووردت فى كتاب طبقات الشافعية الكبرى مناظرتان حدثتا بين إمام الحرمين والإمام أبى إسحق الشيرازى : أولاهما مناظرة فى الاجتهاد فى القبلة[٧] وثانيتهما مناظرة فى زواج البكر[٨] . وقد عثرنا عند تصفحنا للجزء الخاص بالعقيدة فى كتاب « النظامية فى الأركان الإسلامية الذى أطلق عليه فيما بعد العقيدة النظامية » ونشره الشيخ محمد زاهد الكوثرى رحمه الله بهذه التسمية — فى فصل « عذاب

(١) طبقات الشافعية الكبرى ج ٣ ص ٢٥٣ .
(٢) معجم البلدان مجلد ٣ مادة الجوينى ص ٢٨٢ .
(٣) وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٦١ .
(٤) شذرات الذهب ج ٣ ص ٣٥٩ .
(٥) تاريخ الآداب العربية ص ٤٨٧ والملحق ٦٧١ .
(٦) فهرس جامعة الدول العربية طبعة ١٩٥٤ توحيد .
(٧) السبكى — طبقات الشافعية الكبرى ج ٣ ص ٢٧٥ .
(٨) المرجع السابق ج ٣ ص ٢٧٨ .

القبر وسؤال منكر ونكير »[١] على اسم مصنف لإمام الحرمين ذكره الإمام بنفسه فى سياق أقواله قال : « وقد جمعت كتاباً فى النفس سميته كتاب النفس ، وهو يشتمل على قريب من ألف ورقة » .

وقد عقب الشيخ محمد زاهد الكوثرى رحمه الله على هذا القول بقوله : « هذا كتاب لم نره فى تراجم المترجمين لحياته رحمه الله ، وما يعد قريباً من ألف صفحة يعد كبيراً جداً بالنظر إلى الموضوع »[٢] .

والحقيقة أن المترجمين لم يذكروا هذا المصنف ، كما لم يرد هذا الكتاب ضمن فهارس المكتبات المشهورة . ولكن بما أن الإمام قد ذكره فلابد وأن يكون قد صنفه فعلا ، فإن كان فقد أو أتلف فيما بعد — فهذا محتمل لاعتقاد بعض الفرق فى هذا العصر بخطر الفلسفة على العلوم العقيدية .

كما ورد فى سياق أقوال الإمام فى كتابه : « الشامل فى أصول الدين »[٣] اسم مصنف آخر له هو « كتاب التلخيص فى الأصول » ولم نعثر على مصنف بهذا الاسم لإمام الحرمين فى ترجمات المترجمين أو فهارس المكتبات ، ولكننا نرجح أن يكون فى علم أصول الدين[٤] وأما كتاب « مختصر الإرشاد للباقلانى » الذى ورد ذكره فى فهرس مخطوطات معهد جامعة الدول العربية أن إمام الحرمين قد اختصره هو فى علم الكلام ، ويلاحظ أن للباقلانى كتاباً آخر عنوانه « الإرشاد فى أصول الفقه » وهو كبير اختصره الباقلانى نفسه[٥] ويجوز أن يكون إمام الحرمين قد اختصره أيضاً ، وبخاصة أن الخوانسارى يذكر فى « روضات الجنات »[٦] من مؤلفات إمام الحرمين : « تلخيص التقريب »

(١) الجوينى — العقيدة النظامية ص ٥٩ .
(٢) أنظر هامش ١ من ص ٥٩ من العقيدة النظامية . طبعة القاهرة سنة ١٣٦٧ هـ = ١٩٤٨ م .
(٣) الجوينى — الشامل فى أصول الدين ج ١ لوحة ٤ وص ١٦ من المطبوعة .
(٤) نفس المرجع .
(٥) راجع التمهيد فى الرد على الملحدة والمعطلة والرفضة والخوارج والمعتزلة للامام أبى بكر الباقلانى المتوفى عام ٤٠٣ هـ . طبعة القاهرة ص ٢٥٨ — ٢٥٩ .
(٦) الخوانسارى — روضات الجنات — طبعة ايران ص ٤٦٣ .

وورد بطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ، وبوفيات الأعيان لابن خلكان أسماء مصنفات لإمام الحرمين لم نعثر لها على أثر فى فهارس المكتبات ، فأما كتاب « طبقات الشافعية الكبرى »[1] فقد ورد فيه ذكر كتاب باسم « الإرشاد فى أصول الفقه » وآخر باسم « ديوان خطبه - أى إمام الحرمين » وثالث باسم « مختصر النهاية » نسبها السبكى للجوينى ، ومن الجائز أن يكون الكتاب المسمى « الإرشاد فى أصول الفقه » هو كتاب « الإرشاد للباقلانى » الذى ورد ذكره آنفاً ، ولكن طالما أنه ليس لدينا إثبات قاطع على أن هاتين التسميتين لمصنف واحد فإننا لن نقطع برأى بصدد هذا المصنف إلى حين ظهور معلومات جديدة .

أما كتابه « ديوان الخطب » فقد يكون هو الكتاب الذى تضمن خطبه الجمعية وخطبه فى المواسم والأعياد ؛ وأما « مختصر النهاية » فقد ورد فى « وفيات الأعيان » أن هذا المصنف لم يتمه إمام الحرمين وقد ذكر ابن خلكان أيضاً أسماء كتب ثلاثة من مصنفاته هى « مدارك العقول » و « تلخيص نهاية المطلب » و « غنية المسترشدين فى الخلاف » وقد عقب على المصنفين الأولين بقوله : إن إمام الحرمين لم يتمهما ، فيكون لدينا — بعد إبعاد المصنفين للذين قال عنهما ابن خلكان بأن الجوينى لم يتمهما — ثلاث مصنفات لم يرد لها ذكر فى فهارس المكتبات ، ولم يذكر عنها الإمام نفسه شيئاً يجعلنا نؤكد نسبتها إليه كما هو الأمر فيما يتعلق « بكتاب النفس » و « كتاب التلخيص فى الأصول » .

هذا من حيث ما ورد فى التراجم وفى فهارس المكتبات وما ذكره إمام الحرمين نفسه فى سياق كلامه عن مصنفاته .

غير أننا لم نقصر بحثنا على ما ذكره المترجمون عن مصنفات ذلك الإمام ولم نكتف بما ورد ذكره بفهارس المكتبات المخطوط منها والمطبوع ، وماذكره الإمام نفسه فى سياق كلامه ، وإنما حاولنا جهدنا أن نتتبع ونستقصى

(١) جـ ٣ ص ٢٥٣ .

أخبار مصنفات الإمام لدى كل من يصح أن يكون له إلمام بالأمور الإسلامية ، ويكون قد عثر أثناء بحثه على مصنف ينسب إلى إمام الحرمين ، ومن هذا القبيل مخطوطة قديمة ورد بها اسم إمام الحرمين وتوجد بدار الكتب المصرية ولم تضف إلى رصيد الدار بعد ، وقد تبين لى بعد بحثها أنها جزء من شرح ابن المرأة[1] لكتاب « الإرشاد إلى قواطع الأدلة فى أصول الاعتقاد » .

ومخطوطة أخرى ضمن مجموعة بعنوان « مسائل الإمام عبد الحق الصقلى[2] وأجوبتها للإمام أبى المعالى الجوينى » أرشدنى إليها الدكتور أمبرتو ريزيتانو الأستاذ بجامعة رومة بإيطالية وقد أطلعنى مشكوراً على النسخة التى نقلها بخط حديث عن مخطوطة مغربية قديمة محفوظة بدار الكتب المصرية بالقاهرة .

فإذا عرفنا هذا استطعنا أن نقول إن مصنفات إمام الحرمين سبعة وعشرون : ذكر منها بروكلمن تسعة عشر ظهر بالبحث أن اثنين منها ليسا لإمام الحرمين وإنما هما لوالده فيبقى سبعة عشر ، يضاف إليها المناظرتان اللتان ذكرهما السبكى فى كتابه « طبقات الشافعية الكبرى » و « مسائل الصقلى » وكتاب « الكافيــة فى الجدل » و « مختصر الإرشاد للباقلانى » اختصره إمام الحرمين ، والمصنفات التى ليس لها ذكر فى فهارس المكتبات وهى ثلاثة وكتابى « النفس » و « التلخيص فى الأصول » .

وقد حاولت تصنيف مؤلفات الإمام تصنيفاً زمنياً ، إلا أن هذا التصنيف متعذر إلى حد ما ، لأن جميع مصنفات الإمام مؤرخة تاريخا تقديرياً ، ولهذا آثرت التصنيف بحسب المواد واعتمدت فيما يتعلق بالمخطوطات التى لم يتيسر لى الاطلاع عليها على ما ورد عنها من معلومات فى فهارس المكتبات العامة .

إن الموضوعات التى يمكن أن توزع بينها مصنفات إمام الحرمين خمسة :

(١) هو ابراهيم بن يوسف بن محمد ابن المرأة المتوفى عام ٦١٦ هـ .

(٢) هو عبد الحق بن محمد بن هرون الهاشمى القرشى المكنى بأبى محمد توفى عام ٤٦٦ هـ .

أصول الفقه ، وأصول الدين ، والفقه ، والخلاف ، والجدل ، ومصنفات أخرى.

أولا – مصنفاته فى أصول الفقه :

١ – البرهان فى أصول الفقه .
٢ – المجتهدون (من التلخيص فى أصول الفقه) .
٣ – الورقات .
٤ – كتاب مغيث الخلق فى اختيار الأحق .
٥ – الإرشاد فى أصول الفقه .

ثانياً – مصنفاته فى أصول الدين :

٦ – الإرشاد إلى قواطع الأدلة فى أصول الاعتقاد .
٧ – رسالة فى أصول الدين .
٨ – الشامل فى أصول الدين .
٩ – كتاب غياث الأمم فى التياث الظلم .
١٠– شفاء الغليل فى بيان ما وقع فى التوراة والإنجيل من التبديل .
١١– العقيدة النظامية .
١٢– لمع الأدلة فى قواعد عقائد أهل السنة والجماعة[١] .
١٣– مختصر الإرشاد للباقلانى (اختصره إمام الحرمين) .
١٤– مسائل الإمام عبد الحق الصقلى وأجوبتها للإمام أبى المعالى .
١٥– كتاب التلخيص فى الأصول .

ثالثاً – مصنفاته فى الفقه :

١٦– نهاية المطلب فى دراية المذهب .
١٧– مناظرة فى الاجتهاد فى القبلة .
١٨– مناظرة فى زواج البكر .
١٩– السلسلة فى معرفة القولين والوجهين .

(١) وهو الذى بين يدى القارىء الآن .

٢٠– رسالة فى الفقه .
٢١– رسالة فى التقليد والاجتهاد .

رابعاً – مصنفاته فى الخلاف :

٢٢– الدرة المضية فيما وقع من خلاف بين الشافعية والحنفية .
٢٣– غنية المسترشدين فى الخلاف .

خامساً – مصنفاته فى الجدل :

٢٤– الكافية فى الجدل .

سادساً – مصنفاته فى علوم مختلفة :

٢٥– قصيدة من نظم إمام الحرمين ، وهى وصيته لولده القاسم .
٢٦– كتاب النفس .
٢٧– ديوان الخطب المنبرية الجمعية فى المواسم والأعياد .

وأغلب هذه المصنفات مازال مخطوطا ، وبعضها نشر بدون تحقيق مثل «كتاب الورقات » أما كتاب « العقيدة النظامية » فقد اهتم بنشره الشيخ محمد زاهد الكوثرى سنة ١٩٤٨م والمناظرتان : « مناظرة فى الاجتهاد فى القبلة » و« مناظرة فى زواج البكر » نشرتا فى كتاب طبقات الشافعية الكبرى للسبكى .

وكتاب « الإرشاد إلى قواطع الأدلة فى أصول الاعتقاد » وقد نشره الدكتور محمد يوسف موسى عام ١٩٥٠ م ومن قبله نشره المستشرق لوسيانى مع ترجمة فرنسية عام ١٩٣٠ م وأخيراً كتاب « الشامل فى أصول الدين » الذى نشره المستشرق الألمانى كلوبغر عام ١٩٦٠ – ١٩٦١ م .

وقد اهتم الأب قنواتى والأب لويس جارديه بإمام الحرمين ومصنفاته فى كتابهما « مدخل إلى علم الكلام » الذى طبع فى باريس سنة ١٩٤٨ [١]م .

هذه فكرة سريعة عن مصنفات الإمام وقد عرضناها مصنفة تصنيفاً

(١) L. Gardet et C. Anawati : Introduction à la Thèologie Musulmane : Paris, 1948.

بحسب موضوعاتها ، أما تصـنيفها الزمنى فهو متعذر إلى حد ما لخلو جميع مصنفات الإمام من تاريخ تصنيفها كما ذكرنا سابقا ما عدا مصنف واحدوهو « مسائل عبد الحق الصقلى وأجوبتها لإمام الحرمين » الذى صنف عام ٤٥٠هـ ، إلا أنه يمكن تحديد تاريخ تقريبى لبعضها وقد وردت هـذه المحاولة فى بحث لى عن الجوينى عنوانه : (الجوينى ومذهبه فى حدوث العالم) :

تعقيب

نرى مما تقدم أن إمام الحرمين قد صنف فى الفقه وأصوله ، وفى أصول الدين ، والخلاف ، والجدل . وفى مواد أخرى ككتابه فى النفس ، وديوان خطبه المنبرية ، وقصيدته التى بها وصايا لابنه ؛ فنتاج إمام الحرمين العلمى يشمل موضوعات إسلامية صميمة ؛ وقد ظفرت مصنفات الإمام بعناية الكثيرين من علماء العرب وشراحهم ويمكن لنا أن نقول إن هؤلاء الشراح قد ساعدوا على بيان ما غمض من أقوال الإمام بحيث تمكن عامة الناس من الإلمام بمقاصد الجوينى ؛ فساعدوا بذلك على إتمام ما بدأه إمامهم وما كان يرمى إليه منذ نعومة أظفاره ، وهو نشر الحق وإعلاء كلمة الدين لهداية النفوس ، وبث الطمأنينة فى القلوب . فعم بذلك نفعه بين أهل عصره ومن جاءوا من بعده فى العصور المتأخرة عليه . بحيث يمكننا أن نقول إن إمام الحرمين كان بين أولئك الذين ينظر إليهم المسلمون بعين الرضا والاطمئنان لما قاموا به من مجهود فى تدعيم نواحى المذهب والعقيدة . وفى دفع الضرر عن الدين .

وإذا كانت الشروح المختلفـة لمصنفات إمام الحرمين قد ساعدت على إتمام الفائدة التى كان يرجوها الجوينى من كتاباته فإنها فى الوقت نفسه تعطينا فكرة عن ثقافة أهل العصور المختلفة التى كتبت فيها هذه الشروح . فدراسة شروح « كتاب الورقات » مثلا التى كتب بعضها فى القرن السابع الهجرى وبعضها الآخر صنف متأخراً عن ذلك بقرون عديدة ترشدنا إلى اختلاف العناصر الثقافية لكل عصر .

وقد أخطأ شراح مصنفات الإمام فى أكثر من موضع عند تعرضهم لآرائه . فخرجوا بالمعنى عن حقيقته فى بعض النقط . وفى البعض الآخر أسرفوا فى تفسير كثير من أقواله ؛ ومهما يكن من أمر مواضع الضعف فى هذه الشروح ، فهى تبين كثيراً من نواحى المعارف التى كانت منتشرة فى مختلف العصور التى صنفت فيها . كما أنها تبين مدى ثقة المتأخرين فى إمام الحرمين .

ومهما يكن من أمر هـذه الشروح فإن كل ذلك يصـور لنا ما كان لإمام الحرمين من شأن عظيم لدى المتأخرين عليه وأنه كان هناك من أقبل على مصنفاته يستوعب معانيها ويتعرف على خفاياها وذلك بالرغم من موجة تذوق علوم الصوفيـة التى ظهرت وتبينت معالمها على يدى حجة الإسلام الإمام الغزالى تلميذ إمام الحرمين أبى المعالى الجوينى :

٣

مكانته

والآن ، بعد أن فرغنا من دراسة سيرة إمام الحرمين وتعرفنا على بيئته الخاصة والعامة وتحدثنا عن أطوار حياته وتعرضنا لتراثه الفكرى نقول بأن هذه الدراسة قد انتهت بنا إلى الآتى :

إن الإمام الذى كان صاحب فكر راجح وعقل سليم لم يأل جهداً فى خدمة الدين فقد تشبعت روحه بحب العلوم الإسلامية منذ أن كان صغيراً بفضل ما لمس من اهتمام بهذه العلوم من قبل والده ومن كان يجالس ذلك الوالد من كبار أئمة عصره فى الفقه والكلام .

كان حبه لهذه العلوم صادقاً قوياً حتى أنه دافع عن مسائل الدين بكل قواه فأبطل ما رأى فيه باطلا وقبل ما رأى فيه حقا فاستحق إكبار معاصريه .

غير أن بعض التراجم تحوى إشارات إلى بعض مطاعن وجهت إلى إمام الحرمين . فقد ورد ما يفيد أن علم الإمام كان هدف الطاعنين فيه فقد رماه البعض بأمور تقلل من شأنه — إذا ماثبتت عليه — وتنتهى به إلى الكفر والزندقة وأكثر المتحاملين على الإمام هو الحافظ الذهبي [1] على أن هناك بعضا من الحنابلة طعنوا فى الإمام أيضاً إلا أن أقوالهم لم يتضمنها مصنف من المصنفات ؛ وكل مايمكن أن يقال إن بعضهم شاركوا فى الطعن فى إمام الحرمين مع الذهبي ، كما وضحه السبكى فى طبقات الشافعية الكبرى [2] وقد حاولت الرجوع إلى كلام الذهبي

(١) هو الامام الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز التركمانى المعروف بالذهبى وهو شافعى المذهب ولد عام ٦٧٣ هـ وتوفى عام ٧٤٨ هـ .

(٢) جزء ٣ صفحة ٢٦١ .

فى كتبه [1] فوجدت أن التهمة الأولى التى اتهم بها الإمام هى عدم درايته بعلوم الحديث ، والفرية الثانية هى قوله بأن الإمام صرح بأن الله يعلم الكليات لا الجزئيات ، والمأخذ الثالث هو أن الإمام لم يستطع الرد على السائل عن معنى الآية «الرحمن على العرش استوى» [٢٠/٥] وتعثر فى تفسيره لها ، وأخيراً رميه بالرجوع عن (علم الكلام) فى أخريات أيامه .

أما التهمة الأولى وهى عدم دراية الإمام بعلوم الحديث فإننا نرد على ذلك بالقول بأن الخطأ فى حديث أو حديثين لايستدعى أن تلصق هذه الوصمة بالإمام ثم كيف يجهل علوم الحديث رجل كان جل اعتماده فى مناقشة مسائل الخلاف على الاستشهاد بالحديث ، ثم إذا كان إمام الحرمين لم يدر علوم الحديث فعلا فلم لم يثبت الذهبي ذلك بإيراده مختلف الأمثلة التى دعته إلى إثبات هذه التهمة على إمام الحرمين ؟ .

أما مسألة أن الله يعلم الكليات لا الجزئيات فإن الذهبي قد اتهم بها الإمام لاعن اطلاع على مصنف من مصنفات إمام الحرمين التى يصح أن تتضمن قوله هذا عن علم الله ، وإنما أغلب الظن أنه سمع خرافات من طلبة الحنابلة فاعتقدها . وقد أورد السبكى أن الذهبي نقل ذلك الطعن عن المازرى [2]

(١) لقد تيسر لى الاطلاع على كتاب (تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والأعلام) وكتاب (سير أعلام النبلاء) ، أما الكتاب الأول فان المجلد الذى يحوى تاريخ الوفيات فيما بين عامى ٤٣٧ و ٥٠٠ هـ ينقص من المجموعة التى توجد بدار الكتب المصرية وهو الذى يحوى من قبل الطبقة الحادية والخمسين الى الطبقة الثالثة والخمسين — أى الطبقات التى ذكر فيها امام الحرمين المتوفى عام ٤٧٨ هـ وأما الكتاب الثانى وهو كتاب سير أعلام النبلاء فقد عثرت فيه على هذه المطاعن فى الترجمة التى كتبها الذهبى للامام فى الجزء ١١ ق ٢ ل ٢٥٥ يمين . وقد ذكر السبكى هذه المطاعن عن الذهبى وضمنها مصنفه (طبقات الشافعية الكبرى) كما أشرت الى ذلك هنا .

(٢) هو محمد بن على بن عمر التميمى المازرى . يكنى أبا عبد الله ويعرف بالامام . أصله من مازر مدينة فى جزيرة صقلية شرح البرهان لأبى المعالى الجوينى وسماه « ايضاح المحصول من برهان الأصول » . توفى عام ٥٣٦ هـ وقد نيف على الثمانين . يراجع كتاب « جلاء العينين فى محاكمة الأحمدين » تأليف نعمان خير الدين محمود الألوسى . طبعة مصر ص ١٩٧ وابن خلكان طبعة القاهرة ١٢٩٩ هـ جـ ٢ ص ٢٨٧ .

فى شرح البرهان ويعقب السبكى على ذلك بأن الذهبي والمازرى لايدريان صناعة الحديث(١) .

وإذا رجعنا إلى كتب إمام الحرمين الكلامية لنستطيع رأيه عن « علم الله » نجد أنه يرى أنه من المستحيل على الله سبحانه وتعالى « أن يريد مالا يعلمه »(٢)

فإذا عرفنا أن الإمام يوجب القول بصانع مختار يريد خلق العالم لأنه أراد ذلك(٣) وأن الصانع تعالى لم يزل مريداً فى أزله لما سيكون فيما لايزال، وكونه مريداً عن إرادته ؛ فإذا كان هذا هو رأى الإمام فلا يمكن أن يكون الله لايزال مريداً ويكون علم الله بالكليات لا الجزئيات ؛ إذ أن الجوينى يربط الإرادة بالعلم والإرادة لم تزل فى الأزل لما سيكون فيما لايزال ؛ فكون الإرادة فيماسيكون فيما لايزال مرتبطة بجزئيات الحوادث المخلوقة ؛ فالعلم الذى هو مرتبط بالإرادة يصبح مرتبطا بالجزئيات ؛ وبهذا يكون طعن الذهبي عن جهل بحقيقة مذهب إمام الحرمين .

وأما حيرته التى أبداها حين سـئل عن قوله تعالى « الرحمن على العرش استوى » وأجاب الإمام متخبطاً : « كان الله والعرش » ثم تحير عندما واجهه القوم بأن العارف لايقول قط يارباه إلا واتجه إلى جهة فوق . والحقيقة أن هذه التهمة لا تعدو أن تكون مدسوسة على الإمام فلا يعقل أن إماماً كالجوينى من كبار الأئمة المناظرين يعجز عن الإجابة على مثل هذا السؤال ويجيب السبكى عن ذلك بأن أبسط الردود هى : أن العارف الحقيقى تغيب عنه الجهات .

ومهما يكن من أمر الجوينى بصدد مسألة الفوقية ؛ فإن ما دار بينه وبين مناظره لايدعو إلى الحيرة ؛ فلم يواجه الجوينى بدلائل عويصـــة تبعث على التفكير والبحث حتى يحار فى أمر الرد عليها .

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى جـ ٣ ص ٢٦١ .
(٢) الجوينى – العقيدة النظامية ص ١٧ .
(٣) المرجع السابق ص ١٤ .

وهكذا نرى أن المطاعن التى وجهت إلى إمام الحرمين لاتستند إلى حقائق علمية وأن الذهبي قد هاجم الجوينى عن جهل بحقيقة أمره ، وإنه لمما يستدعى العجب أن تصدر مثل هذه المطاعن من إمام كالذهبي له مكانته بين شيوخ الشافعية حتى أن السبكى نفسه يلقبه بشيخنا !؟ .

على أن الإمام وإن كان قد هوجم بمثل هذه الأمور فهو من الأئمة الذين تمتعوا بأكبر قسط من الاحترام والتقدير من معاصريه والذين جاءوا بعده .

فأبو إسحق الشيرازى وهو إمام من الأئمة المعاصرين للجوينى ورئيس المدرسة النظامية ببغداد قال عن الإمام : « تمتعوا بهذا الإمام فإنه نزهة هذا الزمان» (١) وقال له مرة أخرى : « يامفيد أهل المشرق والمغرب لقد استفاد من علمكم الأولون والآخرون » (٢) وفى مناسبة ثالثة وصفه بأنه إمام الأئمة(٣)

ألا يرينا هذا أن الجوينى كان محترماً مبجلا من إمام معترف له بالإمامة والمركز العلمى العظيم وبخاصة إذا علمنا أن تلك الأقوال إنما قيلت بعد أن قام الإمام بمناظرات ومجادلات حول المذهب أحياناً وتمثل العقيدة أحياناً أخرى .

ولم يكن «الشيرازى» وحده هو المعترف بتلك المنزلة ؛ بل هناك إمام آخر من أئمة ذلك العصر وهو شيخ الإسلام أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابونى(٤) وقد سمع كلام إمام الحرمين فى بعض المحافل فقال :

« صرف الله المكاره عن هذا الإمام فهو اليوم قرة عين الإسلام والذاب عنه بحسن الكلام »(٥) .

---

(١) السبكى – طبقات الشافعية الكبرى جـ ٣ ص ٢٥٣ .
ابن خلكان – وفيات الأعيان جـ ١ ص ٣٦١ .
(٢) السبكى – طبقات الشافعية الكبرى جـ ٣ ص ٢٥٣ .
ابن العماد – شذرات الذهب جـ ٥ ص ٣٦٠ .
(٣) نفس المراجع السابقة .
(٤) هو اسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن عامر بن عائذ شـيخ الاسلام أبو عثمان الصابونى الفقيه المحدث توفى فى ٤ محرم سنة ٤٤٩ هـ .
(٥) السبكى – طبقات الشافعية الكبرى جـ ٣ ص ٢٥٣ .

وهذه عبارة تدل على مدى إعجاب « الصابونى » بالإمام حتى أنه قال عنه : « هو قرة عين الإسلام » وهذا يعنى أنه كان يرى فيه أمارات الصلاح والتقوى والقدرة على الدفاع عن الدين بكلام رصين وإدخال الطمأنينة والاستقرار على نفوس العالمين .

وقد رأينا ما كان عليه أهل البلاد فى عهد البويهيين ووقت ظهور السلجوقيين من اضطراب وفوضى وما كان من شأن سياسة نظام الملك الذى جند جيوشاً للدفاع عن العقيدة ، وقد أعجب إمام الحرمين بسياسة نظام الملك واعتبر أن خدمة الدين لا تتم إلا بتهدئة النفوس ونقد المذاهب لتنظيم القول فيها على نحو ما بيناه فيما قبل .

ثم هناك أقوال الحافظ أبو محمد الجرجانى قال الحافظ (١) عن إمام الحرمين :

« هو إمام عصره ونسيج وحده ، ونادرة دهره عديم المثل فى حفظه وشأنه ولسانه » كما قال فيه : « وإليه الرحلة من خراسان والعراق والحجاز » (٢)

وهذه الأقوال تعظم من شأن إمام الحرمين فتثبت علو قدر الإمام فى ذلك العصر لما كان يتمتع به من صفات نادرة وأنه كان قبلة أهل العلم ، يقصده الباحثون عن المعرفة ويرجع إليه الراغبون فى الاستزادة منها ، مما ينطق بأنه كان ذا شهرة كبيرة وصيت ذائع لا فى نيسابور وحدها بل فى خراسان والعراق والحجاز .

ثم قول القشيرى فى الإمام : « لو ادعى إمام الحرمين اليوم النبوة لاستغنى بكلامه هنا عن المعجزة » (٣) يعنى أن ما كان يصدر عن الإمام له من قوة الحجة ما يجعله بمثابة المعجزة بالنسبة للأنبياء — وبعبارة أخرى أن كل ما كان يصدر عن إمام الحرمين كان له أثره على النفوس ؛ وهذا يبين لنا مدى تفهم

(١) السبكى — طبقات الشافعية الكبرى جـ ٣ ص ٢٥٣ .
(٢) نفس المرجع السابق .
(٣) نفس المرجع السابق .

الجوينى لحقيقة النفوس التى كان يواجهها ، ولا غرو فى ذلك فإمام الحرمين ليس بغريب عنهم ، عاش فى البيئة التى عاشوا فيها وخاض فى مختلف ثقافات عصره وربما تعرض لما تعرضوا له من المآزق والأزمات النفسية ؛ فإذا كان الأمر كذلك فلابد وأن يكون قد خبر الصعاب التى تمر بها نفس المؤمن فأصبح أكثر قدرة على التعرف على الدواء بحيث أضحت أقواله التى واجه بها تلك النفوس صادرة من نفس عاشت فيما عاش فيه الآخرون فكانت صادقة وارتاح إليها أهل العصر لأنهم تعرفوا فيها على الحق اليقين ، هذا فيما كان من أمر الذين عاصروا الإمام من كبار الأئمة فى الفقه والكلام .

غير أن الإعجاب بالإمام لم يكن مقصوراً على معاصريه بل تعداه إلى كثير ممن جاءوا بعده ، نخص منهم بالذكر السبكى المؤرخ الشافعى الذى سبق أن ورد ذكره مراراً والذى يمكن أن نعتبره بحق من أكثر المؤرخين إعجاباً بإمام الحرمين فقد أنشد فيه :—

أبداً على طرف اللسان جوابه ... فكأنما هى دفعة من حيدر
يغــدو مساجله بعزة صافح ... ويروح معترفاً بذلة مذنب (١)

كما قال فيه :

وما أرى أحــداً فى الناس يشبهه ... وما أحاشى من الأقوام من أحد (٢)

وقد بلغ تعظيم السبكى للجوينى مبلغاً كبيراً حتى أنه يرى أن للإمام أبحاثاً « لو عارضها القفال شيخ الخراسانيين لقيل هذا يضرب فى حديد بارد ، ولو عرضت على شيخ العراقيين لقال ابن أبى طاهر أنا شيخ الطائفة وأنا حامد وأبو حامد، وشغار آوى الأشعرى منه إلى ركن شديد، واعتزل المعتزلى المناظرة علماً ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ، إذا صعد المنبر مد يده إلى الفراقد وأنشده الفضل :

(١) طبقات الشافعية الكبرى جـ ٣ ص ٢٥٠ .
(٢) نفس المرجع السابق .

ولما رأيت الناس دون محله   تيقنت أن الدهر للناس ناقد(١)

فالسبكى لم يتحرج من أن يرفع منزلة الإمام الجوينى على منزلة شيخين إمامين معترف لهما بالسبق فى الإمامة وهما : القفال وأبو حامد ، وليست مكانتهما بمجهولة لدى علماء الكلام والفقه . ولم يكتف بهذا بل صرح بأن المقارنة بين الجوينى ومن سبقه تثبت أنه قد« أربى على كثير من المتقدمين وأنسى تصرفات الأولين وسعى فى دين الله سعياً يبقى أثره إلى يوم الدين »(٢) .

ولا يشك السبكى فى أن إمام الحرمين كان أعلم أهل الأرض بالكلام والفقه .

غير أنه إذا كان إمام الحرمين قد اشتهر كإمام من أئمة الفقه والكلام وأطنبت التراجم فى ذكر مناقبه وكانت له مصنفات فى مختلف العلوم الإسلامية، فقد قيل عنه أيضاً إنه رجع عن علم الكلام فى أخريات أيامه ، إذ ورد عنه فى طبقات الشافعية الكبرى أنه قال :

«لاتشتغلوا بالكلام، فلو عرفت أن الكلام يبلغ بى مابلغ ماشتغلت به »(٣)

ويستنكر السبكى أن تكون هذه العبارة قد صدرت عن إمام الحرمين، ثم يقول إنه على فرض أن هذه العبارة قد صدرت عن الإمام فعلا ورجع الإمام عن الكلام وذلك لأنه عرف أنه باطل « فلبئس ثم ما ينتقد »(٤) على حد قول السبكى .

إن السبكى يرى أنه يصح أن يكون الإمام قد رجع عن الكلام لأنه لم يجد فى هذا العلم الوسيلة الناجعة التى تنتهى بالمرء إلى تثبيت إيمانه .

فكيف يتفق ذلك وما عرف عن الإمام من أنه قد اشتغل بالكلام وصنف فيه المصنفات الطوال ؟

(١) نفس المرجع السابق .
(٢) طبقات الشافعية الكبرى ج ٣ ص ٢٥٠ .
(٣) ج ٣ ص ٢٦٠ .
(٤) المرجع السابق ج ٣ ص ٢٦١ .

لعل ظروف حياة إمام الحرمين الخاصة والعامة ودراسة مصنفاته تنير الطريق فتبين الدوافع التى أدت بالإمام إلى الاشتغال بعلم الكلام .

سبق أن بينا الأثر البعيد الذى تركته بيئة إمام الحرمين العائلية فى نفسه من حيث توجيهه إلى العلوم الإسلامية كما وضحنا ظروف العصر السياسية وما ترتب عليها من فوضى فى الأمور الدينية كان من أثرها انتشار القلق والحيرة بين نفوس الأفراد ، الأمر الذى جعل الإمام يشعر بواجبه الملقى على عاتقه نحو بنى قومه ، وهو الذى توفرت له أسباب من المعرفة والعلم تتيح له فرصة العمل على شفاء النفوس من حيرتها . فاشتغل الإمام بالكلام منذ نعومة أظفاره فى مدرسة أبيه وفى غير مدرسة أبيه ثم ضم جهوده إلى جهود الآخرين من شيوخ وأئمة الشافعية وجلس على رأس المدرســة النظامية منذ أن رجع إلى نيسابور بعد أن انتقل الحكم إلى يد السلجوقيين واستتب الأمر لأهل السنة .

يتبين لنا أن الإمام اشتغل بعلم الكلام بدافع رغبته الأكيدة . فى إفادة الأهلين لأنه رأى فيه الوسيلة الناجعة الموصلة إلى تهدئة نفوس بنى قومه .

فإذا كان الأمر كذلك فربما يكون رجوع الإمام عن علم الكلام لامتناع هذا الدافع — أى لأنه لم تعد هناك حاجة إلى إفادة الأهلين لأن النفوس هدأت واستكنت فرجع الإمام عن الكلام لعدم احتياجه إليه ، وهذا يعنى أن الإمام اتخذ من الكلام وسيلة لتهدئة نفوس الآخرين وأنه لم يجد فيه ما يشفى غليل نفسه . فإذا رجعنا إلى رأى الإمام فى الكلام نجد أنه كان يرى أن الكلام وسيلة تهدى الباحث إلى وجود إله منزه عن صفات الافتقار دون أن تهديه إلى حقيقة الذات الإلهية(١) ومعنى هذا أن الإمام كان يرى فى علوم الكلام نقصاً .

فأمر رجوع الإمام عن هذا العلم فى أخريات أيامه محتمل بعد أن رجعنا إلى ظروف حياته وتبينا الدوافع التى يصح أن تكون قد دفعت به إلى الاشتغال بالكلام ثم العوامل المختلفة التى عملت عملها فى نفسه .

(١) الجوينى — العقيدة النظامية ص ١٦ .

فإذا عرفنا — زيادة على ذلك — أن الإمام قد صرح بأنه يرجع إلى أقوال السلف حيث قال :

« اشهدوا على أنى رجعت عن كل مقالة يخالف فيها السلف وأنى أموت على ما يموت عليه عجائز نيسابور »(١) . وأن السبكى يرى أن المقصود بهذه العبارة : أن الإمام يرجع عن التأويل إلى التفويض كان معنى ذلك أن إمام الحرمين يرمى إلى أن يكون إيمانه قوياً ثابتاً فى النفس وأن يكون الطريق إلى كل ذلك القلب دون العقل .

وطريق القلب هو طريق الصوفية وإمام الحرمين قد اشتغل بالتصوف. والتصوف فى ذلك العصر لم يكن غير اتباع الكتاب والسنة فتكون طرق السلف ما هى إلا التصوف الذى ينتهى بالباحث إلى التحقق بالذات العلية .

وليس معنى هذا أن الإمام يستنكر الكلام وإنما يرى فيه وسيلة إن كانت تشفى غليل بعض النفوس فإنها لاتشفى غليل بعض النفوس الأخرى . فعلم الكلام له قيمته طالما أنه يوصل إلى إثبات وجود إله منزه عن صفات الاحتقار ، ولكن الإمام يفضل عليه التصوف لأنه يرغب فى التحقق بالذات العلية ؛ فالإمام إذن كان متكلماً فى مذهبه ؛ متصوفاً فى حياته .

فإذا كانت هذه هى حال إمام الحرمين فلا يبعد — والأمر كذلك — أن يكون الإمام الغزالى وهو الذى تتلمذ على إمام الحرمين مدة ليست بالقصيرة أن يكون قد تأثر بأستاذه . فخاض فى العلوم كلها وأنزل جميع الطرق منزلة البحث والتمحيص ، ثم خرج من كل ذلك بأن التصوف هو العلم الموصل إلى الحقيقة وأنه لاطائل فى الفلسفة أو الكلام ؛ وتكون النهضة التى نهضها حجة الإسلام الإمام الغزالى بالعلوم الإسلامية ترجع فى أصلها إلى الإمام الجوينى ، أبو المعالى إمام الحرمين .

(١) السبكى — طبقات الشافعية الكبرى جـ ٣ ص ٢٦٣ .

٤

تعليق على التحقيق

لقد هدانى البحث إلى نسختين لمتن هذه الرسالة وشرح لها . فأما النسختان فهما :—

١ — نسخة خطية محفوظة بدار الكتب المصرية بالقاهرة ضمن مجموعة برقم ٦١٨ مجاميع وتحوى هذه المجموعة اثنتى عشرة رسالة (١) تقع فى ١٧٨ ورقة وتبدأ رسالة « لمع الأدلة » من رأس ١١٧ ظ إلى حوالى نصف ١٢٢ و (مقاس الأوراق ٢٥ × ٢٠ سم) وتشتمل كل ورقة على ٣١ سطراً . وكل سطر على حوالى ١٢ كلمة . بالخط المعتاد .

وأغلب الظن أن المجموعة من خط يد ناسخ واحد فليس هناك اختلاف ظاهر فى نبرات الحروف . ونسخة اللمع التى بهذه المجموعة غير مؤرخة — فقد اختتمت الرسالة كما هو مثبت بنهاية النسخة المحققة (٢) باسم الناسخ فقط هكذا :

« على يد ... الفقير إلى عفو الله تعالى محمد بن سليمان بن يوسف الشافعى ».

(١) الرسائل الاثنا عشرة هى :

١ — معالم فى أصول الدين للامام فخر الدين الرازى وهو ناقص . ويوجد منه عنوانه فقط .
٢ — الأشكال الأربعة فى المنطق ٣ — قواعد الاعراب ٤ — العقائد النسفية .
٥ — ملحة الاعراب للحريرى ٦ — شرح الملحة له أيضا . ٧ — أنموذج الزمخشرى
٨ — اللمع لامام الحرمين . ٩ — الحدود . ١٠ — أجناس الموجودات .
١١ — منازل القمر ١٢ — شرح العقائد النسفية .

وبالمجموعة اضافات حديثة رمى بها الكاتب الى ملء الفراغات فى المخطوط وذلك على هيئة كشكول . كما أن بعض العناوين قد كتب بخط غير خط ناسخها . كما هو الحال بصدد رسالة اللمع .

(٢) انظر ص ١٢٠ الآتية من هذا الكتاب .

غير أنه قد ظهر بالبحث فى الرسائل الأخرى التى تضمنتها المجموعة أن هناك رسالتين ذيلتا بتاريخ النسخ إحداهما : « العقائد النسفية » والثانية « شرح العقائد النسفية » .

جاء بآخر العقائد النسفية وهى الرسالة الرابعة من رسائل المجموعة وذلك برأس ٢٦ ظ اسم الناسخ الذى هو ناسخ اللمع ، وتاريخ النسخ . وهذا نص ما ورد :

« وكان الفراغ من كتابته على يد العبد الفقير إلى الله تعالى محمد بن سليمان بن يوسف الشافعى بتاريخ سابع عشر من شهر رجب الفرد سنة (٥٠٨هـ) ثمان وخمسمائة » .

وجاء بآخر شرح العقائد النسفية للسعد وهو آخر ما كتب فى المجموعة :

« تم الكتاب بعون الملك الوهاب على يد أقل العباد محمد بن سليمان بن يوسف الشافعى فى الحادى عشر من شهر ذى الحجة الحرام من شهور سنة (٥٠٩هـ) تسع وخمسمائة . والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله » .

فإذا كان الأمر كذلك وكانت رسالة « لمع من الأدلة فى قواعد عقائد أهل السنة والجماعة » لإمام الحرمين تقع بين هاتين الرسالتين ، وورق المخطوط لم يظهر فيه اختلال . فتكون رسالة الجوينى هذه قد نسخت فيما بين هذين التاريخين أى فيما بين ١٧ رجب سنة ٥٠٨ هـ . و ١١ من ذى الحجة سنة ٥٠٩ هـ .

٢ — نسخة مصورة عن أصل لها فى مكتبة توبنجن التى نقلت إليها محتويات مكتبة برلين أثناء الحرب ورقم هذه النسخة بمكتبة برلين هو ٢٠٧٣ (١)

وقد عاوننى المسئولون بمكتبة جامعة القاهرة . فأرسلوا مشكورين لتصوير هذه النسخة وإحضارها ؛ فأصبح لدينا نسخة مصورة بمكتبة جامعة القاهرة رقمها ٢٦٣٩٣ والظاهر أن هذه النسخة كانت ضمن مجموعة تشغل الرسالة فيها من الورقة ٤٩ إلى ٦٣ ظ . وحجم اللوحة ١٥×١٣ سم وقد وضعت اللوحات وضعا أفقياً ، كل اثنتين فوق بعضهما على لوحة واحدة .

(١) بروكلمن — تاريخ الأدب العربى .

ورسالة « اللمع » هذه تبدأ من نصف اللوحة الثانية أى السفلى وعدد الصفحات بناء على ذلك ٣١ صفحة — والخط معتاد واضح وهى مؤرخة ، فقد ذيلت بتاريخ النسخ على النحو الآتى :

« نجز هذا الكتاب وهو اللمع من تصنيف الإمام إمام الحرمين أبى المعالى عبد الملك بن عبد الله الجوينى طيب الله تربته . فرغ من نسخه ليلة الأحد الثالث والعشرين من شهر ربيع الأول من سنة (٥٤٧هـ) سبع وأربعين وخمسمائة . والحمد لله على ... والصلاة على محمد خاتم أنبيائه حسبنا الله ونعم الوكيل »(١) .

وقد ذكر اسم الناسخ فى مستهل الرسالة هكذا :

« أبو زين إسماعيل بن إبراهيم بن الفرج الغزى »(٢) .

٣ — وأما الشرح فهو : شرح التلمسانى للمع . وعنوانه بالكامل كما ورد فى الورقة الأولى من النسخة المصورة هو :

« شرح لمع الأدلة فى التوحيد لإمام الحرمين » تأليف أبى محمد عبد الله شرف الدين بن محمد بن على الفهرى الشهير بابن التلمسانى .

وتوجد لهذا الشرح نسختان :

الأولى — كتبت عام ٨٠٤ هـ وتوجد بمكتبة أحمد الثالث برقم ٩٨٦٩ — ١٢٤٠ ف بمعهد إحياء المخطوطات العربية بالإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية بالقاهرة .

والثانية — نسخة صورت عن مخطوطة بمكتبة الاسكوريال بأسبانية فى فيلم رقم ١٦٠٦ وهى ملك الدكتور محمد عبد اهادى أبوريدة . وقد تكرم فأعارنى إياها .

وتمتاز هذه النسخة — نسخة الدكتور أبو ريدة — على سابقتها بأن متن رسالة اللمع فيها ظاهر مميز اللهم إلا فى مواضع : مثلا من ل٢ يمين إلى نصف ل٣ يسار وفى ل ٦ يمين عند الحديث عن العرض وماهيته وفى ل ٤٥ يسار

(١) أنظر ص ١٢٠ الآتية من هذا الكتاب .
(٢) أنظر ص ٧٤ الآتية من هذا الكتاب .

فى فصل : « الرب سبحانه وتعالى يتقدس عن قبول الحوادث »[١] وقد أشرت إلى هذا كله فى سياق التحقيق – وتقع هذه النسخة فى ١٣٢ ل يمين ويسار والخط واضح وقد كتب أصل رسالة اللمع بالمداد الأحمر دون الشرح .

ولما كانت النسخة الأولى من محتويات مكتبة دار الكتب المصرية بالقاهرة. فقد رمزت إليها بـ(ق) ورمزت إلى الأصل الثانى الذى يوجد بمكتبة برلين بـ (ب) ورمزت إلى شرح التلمسانى للمع الأدلة بـ (ش) .

وقد ظهر أن هناك فروقاً بين هذه الأصول تشمل جملا بأسرها فى بعض المواضع بحيث يختلف الأسلوب فى فقرة بأكملها عنه فى الفقرة المقابلة لها . وذلك على الأخص فى غضون القول فى حدوث العالم[٢] والأصول الأربعة لإثبات هذا الحدوث وقد ظهرت هذه الفروق الشاسعة بين نص (ق) والنصين الآخرين : (ب) ، (ش) اللذين يتفقان فى الأسلوب إلى حد كبير ؛ فالفروق بينهما تنحصر فى ألفاظ أو سقوط عبارات قصيرة أو زيادات لا تخل بسياق الجملة بحيث يصبح لدينا أسلوبان : أسلوب (ق) من جهة ما وأسلوب (ب ، ش) من جهة أخرى ، وقد آثرت عرض الأسلوبين فى المواضع التى ظهرت فيها الاختلافات وأثبت الزيادات التى وردت فى كل نسخة من النسخ الثلاث وأشرت إليها فى مواضعها فى حواشى نسختنا هذه المحققة . بعد وضعها بين معقوفين تمييزاً لكل أصل من الأصول الثلاثة عن الآخر .

وإذا تركنا نسخة (ش) جانباً وقارنا بين نسختى (ق) و(ب) من حيث الوضوح والترتيب المتبع فى نسخ الرسالة نجد أن (ق) قد نسخت بخط مضطرب إلى حدٍّ ما بالنسبة للخط الذى نسخت به (ب) كما تكثر بها الأخطاء الإملائية . وقد صححت الكثير منها دون الإشارة إليه فى الهوامش أما البعض الآخر فقد بينته فى موضعه من الهامش ، كما ظهر فيها الكثير من الأخطاء

(١) انظر ص ٩٧ الآتية من هذا الكتاب .

(٢) انظر ص ٧٧ – ٧٩ الآتيتين من هذا الكتاب .

اللغوية الخاصة بالتأنيث والتذكير والجمع والإفراد ثم إن أسلوبها نفسه بعيد عن التمتع بالسياق العربى الصميم . فقد تنقص أدوات الربط أو تزيد .

كل ذلك جاء بنسخة (ق) ومع كل فهى تفضل نسخة (ب) لأقدميتها من جهة ، فقد ظهر بالبحث أنها نسخت فيما بين عامى ٥٠٨ هـ ، ٥٠٩ هـ بينما نسخت (ب) عام ٥٤٧ هـ .

وقد تعمدت عند إثبات الفروق التى ظهرت بين الأسلوبين إلى تعديد الهوامش فى بعض الأحيان تبعاً لانقسام الفكرة وذلك حرصاً على إبراز تماثل الفكرتين فى كلا الأسلوبين لإثبات أن الاختلاف الملحوظ لفظى فقط . فليس هناك اختلاف فى مدلول العبارات إلا عند ذكر خلفاء الرسول عليه الصلاة والسلام[١] حيث ورد فى (ق) هكذا :

« وما نص النبى عليه السلام على إمامة أحد بعده ، وتوليته » .

وورد فى (ب) هكذا :

« ما نص رسول الله صلى الله عليه وسلم على إمامة على وتوليته بعده » ، فذكر شخص معين فى (ب) وهو « على » رضى الله عنه له أهميته . إذ يعتبر أن النسخة التى ذكر بها الشخص المعين وهى نسخة (ب) قد كتبت بعد أن انتهت أيام الشيعة واستتبت الأمور لأهل السنة ومعنى هذا أن نسخة (ب) قد صيغت بعد نسخة (ق) وأغلب الظن أن يكون ذلك بعد استتباب الأمور لأهل السنة كما قلنا . وهذا يفسر لنا إلى حد بعيد الاختلاف الشاسع الذى لوحظ بين الأسلوبين فقد كتبت كل منهما فى فترة خاصة من حياة إمام الحرمين أبى المعالى رحمه الله .

ومما يؤيد هذا ما تدلنا عليه سيرة الإمام من أنه مارس التدريس فى فترتين مختلفتين : الأولى فى بداية حياته كفقيه ومتكلم فى مدرسة أبيه ، قبل نزوحه عن نيسابور ؛ والثانية بعد رجوعه إلى نيسابور فى المدرسة النظامية حيث

(١) انظر ص ١١٧ الآتية من هذا الكتاب .

كان قد نضج واكتملت له صفات الباحث المتمكن من مختلف العلوم الإسلامية وغير الإسلامية . ولذا كان أسلوب (ب) أقرب إلى أسلوبه فى مصنفاته الأخرى التى صنفها فى هذه الفترة من حياته – أى أقرب إلى الأسلوب العلمى الدقيق التعبير منه إلى الأسلوب المدرسى الذى يظهر واضحاً فى (ق) حيث يكثر التكرار .

ولما كانت الرسالة تحوى بعض الآيات القرآنية فقد ذكرنا فى الهامش رقم السورة والرقم الذى تتعين به كل آية فى كل سورة من القرآن الحكيم .

٥

تحليل لمع الأدلة

« لمع فى قواعد أهل السنة » أو « لمع فى قواعد عقائد أهل السنة والجماعة » أو « لمع من الأدلة فى قواعد عقائد أهل السنة والجماعة » أو « لمع الأدلة فى التوحيد » : عنوان لهذا المصنف الذى كتبه إمام الحرمين ، وخص الكلام فيه لشرح عقائد فرقة الأشاعرة الذين كانوا يمثلون فى ذلك الحين آراء أهل السنة .

وللعنوان كما نرى صيغ متعددة ، وردت الأولى بأول نسخة «ق» ويبدو أن هذا العنوان قد كتب فى عصر متأخر عن عصر نسخ المخطوط المذكور وورد فى سياق مقدمته – وهو العنوان الثانى – كما يأتى :

« لمع فى قواعد أهل السنة والجماعة » [١] ، وقد اعتمدنا هذا العنوان اسماً للرسالة ، لدلالته على أن موضوعها ينصب على العقائد . ووردت الصيغة الثالثة فى نسخة «ب» [٢] والرابعة فى نسخة «ش» [٣] .

ويتفق عنوان الرسالة هذا مع موضوعها الذى اتخذه لها إمام الحرمين . فالرسالة تتضمن عقيدة أهل السنة والجماعة التى عرضها الإمام مدعمة بالأدلة والبراهين العقلية فى إيجاز واقتضاب لم يمسا الغاية التى من أجلها صنف هذا المصنف ، وهى بيان حقيقة المذهب السنى فى العقيدة . فجاء الكلام « لمعاً فى قواعد عقائد أهل السنة والجماعة » مطابقاً لما ورد فى المذكور العنوان .

---

(١) نسخة خطية بدار الكتب المصرية لرسالة اللمع رقم ٦١٨ مجاميع انظر ص ٧٤ الآتية من هذا الكتاب وما بعدها .

(٢) نسخة مصورة عن النسخة الخطية التى بمكتبة توبنجن بألمانيا ومحفوظة برقم ١٦٣٩٣ بجامعة القاهرة .

(٣) ميكروفيلم للنسخة الخطية لشرح اللمع للتلمسانى الموجودة بمكتبة الاسكوريال فيلم رقم ١٦٠٦ ويوجد منه نسخة بمكتبة السيد الدكتور محمد عبد الهادى أبو ريدة .

يشير الإمام إلى أن هذا المصنف قد كتبه تلبية لدعوة ممن كانوا يحيطون به ويجلسون إليه إذ قال فى المقدمة « هذا وقد استدعيتم أرشدكم الله [عزوجل] ذكر لمع [الأدلة] فى قواعد عقائد أهل السنة والجماعة . فاستخرت الله تعالى فى إسعافكم بمناكم والله المستعان وعليه التكلان»(١) . فكأن إمام الحرمين ما كان ليكتب هذه الرسالة لولا تلبيته لرغبة جماعة من معاصريه .

وقد قسمنا الرسالة إلى سبعة أبواب :

الأول فى « العالم وحدوثه » والثانى فى « الله وصفاته » والثالث فى « إرادة الله وإرادة العبد » والرابع فى «رؤية الله» والخامس فى « الرب والخلق » والسادس فى « الرسالة والنبوة والمعجزة » والسابع فى « الإمامة » .

ونلاحظ على ترتيب هذه الفصول واختيار موضوعاتها أن الإمام الجوينى اختار من مسائل علم الكلام ما رآه أجدر من غيره بالذكر من جهة . وما اشتد حوله الخلاف بين المتكلمين لاسيما بعد ظهور المذهب الأشعرى من جهة أخرى كما نلاحظ أنه افتتح الكتاب بالبحث فى العالم وحدوثه ورتب على إثبات الحدوث الكلام فى الله وصفاته ثم رتب على ذلك الكلام فى الرسالة والنبوة والمعجزة ثم الكلام فى الإمامة . كما نلاحظ أخيراً أنه لم يتعرض للبحث فى المعاد وأحوال الناس فى الحياة الأخرى .

ويحتوى بعض هذه الأبواب على عدة فصول أو مسائل بينما يحتوى البعض الآخر على فصل واحد .

— ١ —

خصص الإمام الباب الأول للكلام فى حدوث العالم . وقد استهل هذا الباب بذكر بعض المصطلحات التى اصطلح عليها الموحدون كالعالم ، والجوهر ، والعرض . ثم تعرض لمعنى الحدوث والقدم وما أن انتهى من ذكر هذه المصطلحات حتى دخل فى بيان الدلائل على حدوث العالم . فعرضها فى فصول أربعة . ونحن نقول «فصول» ولكن الإمام لم يستعمل هذا اللفظ وإنما استعمل

(١) انظر ص ٧٥ الآتية من هذا الكتاب .

لفظين آخرين هما لفظ « أصل » وذلك فى نسخة (ب) ولفظ « مسألة » وذلك فى نسخة « ق » وتتلخص هذه الفصول أو المسائل فى إثبات العرض ، ثم إثبات حدوثه ، ثم إثبات استحالة تعرى الجواهر عن الأعراض ، ثم إثبات استحالة حوادث لاأول لها . فإذا ثبت كل ذلك كان الجوهر الذى لايتعرى من العرض حادث ، لأن ما لايسبق الحادث حادث .

ثم بين الإمام أن الحدوث معناه الجواز والإمكان وهذا يقتضى وجود صانع ، قال عنه أيضاً إنه « مخصص » ثم نفى كون الصانع طبيعة أو علة ، وذلك لأن الصانع مخصص مختار موصوف بالاقتدار والاختيار .

— ٢ —

أما الباب الثانى فهو فى إثبات الصفات وضمنه الجوينى القول فى صفات الله الواجبة فقال « إن الله أزلى الوجود حى مريد على الحقيقة ، سميع بصير متكلم . وهو واجب الوجود ، عالم بعلم قديم ، وقادر بقدرة قديمة ، حى بحياة قديمة » . وهو فى أثناء ذلك يتعرض لآراء الفرق المناوئة . فيبطل بالحجة آراءهم ، فيرد على من يثبتون لله إرادة حادثة ، فيقول : بأنه لو كانت إرادة الله حادثة لافتقرت إلى إرادة لحدوثها وهكذا إلى مالا نهاية فالله مريد بإرادة قديمة أزلية — وكما ينفى عن ذات الله تعالى النقائص لتقدسه عن سماتها ، فلا يصح وصفه سبحانه وتعالى بأضداد صفات الحى أى أضداد السمع والبصر والكلام . وفى تحدثه عن الوحدانية يفترض وجود إلهين اثنين ، ثم يبين كيف تتعارض إرادتهما وبالتالى يستحيل وجودهما سوياً . وهذا ينتهى به إلى وجوب إثبات وجود أحدهما دون الآخر .

ثم يتكلم الإمام عما يستحيل على البارى تعالى من أوصاف وهو القسم الوحيد الذى ذكر فى بدايته لفظ « باب » . وقد بين إمام الحرمين أن الرب سبحانه وتعالى يتعالى عن الاختصاص بالجهات والاتصاف بمحاذاة الأجسام بحيث لايمكن تصوره محدوداً بالجهات ذا مقدار كالأجسام .

ودليل الإمام على هذا قوله الذى أثبت به حدوث العالم حين قال : إن كل مختص بجهة متحيز ، وكل ما يشغل الحيز قابل للأعراض من اجتماع وافتراق وغيرهما ولا يمكن أن يخلو عنها ويكون بالتالى حادثاً .

ثم يتعرض بعد ذلك لتفسير قوله تعالى « الرحمن على العرش استوى » [٢٠/٥] . فيقول : إن الاستواء بمعنى القهر والغلبة والعلو .

فالرب سبحانه وتعالى يتقدس عن قبول الحوادث ، إذ لو قامت به الحوادث لم يخل عنها وما لا يخلو من الحوادث حادث . وقد ذكر الإمام أن الذين يزعمون أن الحوادث تطرأ على ذات البارى تعالى يخرجون على إجماع أمة محمد — وهم طائفة تعرف باسم الكرامية — .

— ٣ —

وفى الباب الثالث وهو « إرادة الله وإرادة العبد » يرى الإمام : أن الحوادث كلها تقع مرادة لله تعالى نفعها وضرها خيرها وشرها . فهو خالق لجميع الحوادث — وهذا يعنى أنه مريد لما خلق قاصد إلى إيجاد ما أوجد ، ولا يصح القول بأن إرادة الله قاصرة بمعنى أنه عاجز عن فعل ما يريد فعله أو أن هناك مايقع دون أن يريده ، على نحو ماقال المعتزلة . فهم يرون : أن الواجبات والمندوبات من الطاعات مرادة لله تعالى وقعت أو لم تقع . وأن المعاصى والفواحش تقع والله تعالى كاره لها غير مريد لوقوعها ، وأن المباحات تقع وهو لايريدها ولا يكرهها . والإمام يرى : أنه يجب اعتبار أنه لايجوز فى حكم الله إجبار الخلائق على الطاعات فهو لايريد منهم الإيمان اضطراراً وإنما يريده منهم اختياراً فهو يريد أن يكونوا مخيرين لامسيرين لإعطائهم فرصة الأخذ والرد والاجتهاد والقيام بمايرضيه ومالا يرضيه ، وهذه هى إرادة الله ، والحاصل هو ما أراده الله . وهكذا تصدق الكلمة التى لا يجحدها كل معتز إلى الإسلام وهى :—

« ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن » والآيات على هذا متعددة يذكر الإمام بعضها مثل قوله تعالى (ولو شاء الله لجمعهم على الهدى)[٦/٣٥] وقوله تعالى : (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً) [من ٦/١٢٥] .

ويرد الإمام على الذين يحتجون بالآية الكريمة (ولا يرضى لعباده الكفر) [من ٣٩/٧] بأن الله أراد « بالعباد » المؤمنين لطاعته المخلصين لعبادته .

وأن الله سبحانه وتعالى حين قال فى الآية الكريمة : (لو شاء الله ما أشركنا ، ولا آباؤنا ولاحرمنا من شىء . . . إلى قوله . . . حتى ذاقوا بأسنا) [من ٦/١٤٨] إنما كان يرد على ما قاله الكفار المستهزئون .

والدليل على ذلك : قوله تعالى فى آخر الآية :

« قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ، إن تتبعون إلا الظن ، وإن أنتم إلا تخرصون ، قل : فلله الحجة البالغة ، فلو شاء لهداكم أجمعين »[من ١٤٨ ، ٦/١٤٩].

— ٤ —

أما باب « رؤية الله » فيرى الإمام أن مذهب أهل الحق يتلخص فى أن البارى تعالى مرئى ويجوز أن يراه الراؤن بالأبصار .

والدليل على جواز الرؤية عقلا : أن الرب سبحانه وتعالى موجود . . وكل موجود مرئى .

كما يستدل على جواز الرؤية أنها ستكون فى الجنان وعداً حقا لله صدقاً فقد قال سبحانه وتعالى :

« وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة » [٢٢ ، ٧٥/٢٣] .

فالمقصود هنا رؤية البصر . وقد فسر الإمام الآية الكريمة « لا تدركه الأبصار » [من ٦/١٠٣] بأن الإدراك غير الإبصار . فالإدراك يقوم على الإحاطة والرب متقدس عن النهاية .

ومن الأدلة التى تثبت جواز رؤية الله . قوله تعالى لموسى « لن ترانى » [من ٧/١٤٣] فهذه الآية التى ظاهرها نفى الرؤية لاتعنى النفى إلى الأبد وإنما مثلت فى ظرف معين وقائلها يعتقد جواز الرؤية ، وإلا لما جاز أن يعتقد من اصطفاه الله تعالى لرسالته مالا يجوز على الله . ويجوز على الأنبياء الريب فى أمر يتعلق بعلم الغيب ، أما ما يتعلق بوصف البارى تعالى فلا يجوز عليهم ذلك .

وبالتالى تحمل الآية على ما اعتقده موسى عليه السلام وهو جواز الرؤية .

— ٥ —

وفى « باب الرب والخلق » يرى الإمام : أن الله سبحانه وتعالى : متفرد بخلق المخلوقات وكل حادث فالله سبحانه وتعالى محدثه .

والآيات على ذلك متعددة :

فقوله تعالى « أفمن يخلق كمن لايخلق أفلا تذكرون » [من ١٦/١٧] معناه أن الله تعالى قد تمدح فى هذه الآية بالقدرة على الخلق فإن شاركه غيره فى هذه الصفة يبطل التمدح .

ويستدل الإمام أيضاً بقوله : « خالق كل شيء فاعبدوه » [من ٦/١٠٢] وقوله : (قل : الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار) [من ١٣/١٦] .

ويعطينا الجوينى أدلة عقلية على ذلك فيقول :—

إن الأفعال دالة على علم فاعلها والعباد فى أغلب الأحيان لايعلمون ماهم فاعلون أو يكونون غافلين عن الدوافع والمسببات التى تدفعهم إلى فعل بعض الأفعال .

فلو كانوا خالقين لها ، لأحاطوا بجميع صفات أفعالهم .

ويرى الإمام أن العبد غير مجبر على أفعاله بل هو قادر عليها مكتسب لها .

ويشرح الإمام مايقصده بقدرة العبد فيقول : إن العاقل يفرق بين أن ترتعد يده وبين أن يحركها عن قصد وإرادة . كما يفسر المقصود بالاكتساب بأنه القدرة على الإتيان بفعل وأن يقع المقدور ولو لم تكن القدرة هى المؤثر الحقيقى فى إيقاع المقدور . والفعل غير المراد لايعتبره الجوينى مكتسبا .

ويرى الإمام : أنه لايجب على الله شيء لأن الله يتعالى عن النقص وما أنعم به الله فهو فضل منه ، وماعاقب به فهو عدل منه . ويجب أن يفعل العبد مايوجبه الله عليه .

والعقول لا توجب شيئاً ، وأحكام التكليف متلقاة من المشرع وتوجب السمع ، ومؤدى الواجب لايستحق ثواباً .

— ٦ —

أما باب « الرسالة والنبوة والمعجزة » ، فقد قال فيـــه الإمام : إن لله تعالى أن يرسل الرسل . ويرد على من يقول بإنكار النبوة ويقبل دعواهم على أنه لو جاءت الرسل بما يدرك عقلا لم يكن فى إرسالهم فائدة ، وكان فى قضايا العقل غنى عنهم ، وإن جاءت الرسل بمالايدرك عقلا فلا يقبل مايخالف العقل .

يقول الإمام : إن الشرع يرشد إلى ما يدرك عقــلا ، ثم إن إرسال الرسل ليس فيه استحالة أو خروج عن الحقيقة فيجوز إذن إرسالهم .

ويثبت صدق مدعى النبوة بالمعجزات وهى أفعال خارقة للعادة ، يعجز عن الإتيان بها الفرد العادى الذى لايجد مندوحة من أن يصدقها . ويشرح الجوينى ذلك فيقول بأنه لو جاء رسول من قبل ملك وطلب من الرعية أن تصدق أنه رسول الملك . وقدم لهم دليلا فقال إنه سيطلب من الملك أن يغير عادته ويقوم ويقعد مثلا إذا استدعاه الرسول إلى ذلك . فإذا فعل الملك ما قال به الرسول فمعنى هذا أنه يرغب فى أن يصدق الناس أن هذا الرجل رسول من قبله .

والدليل على ثبوت نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم المعجزات ومن آياته القرآن ووجه الإعجاز فى القرآن ما اختص به من الجزالة والنظم الخارج عن جميع أساليب كلام العرب .

ويرى الإمام : أن من وجوه إعجاز القرآن أيضاً احتواؤه على قصص الأولين والنبي كان أمياً ولم يدرس تاريخ الأولين .

ومن وجه الإعجاز فى القرآن أيضاً اشتماله على نبوءات متعلقة بالمستقبل صدقت كلها ولم تختلف واحدة منها . ويثبت الإمام بعد ذلك ما قام به النبي من معجزات سوى القرآن : كانفلاق القمر ، وتسبيح الحصى ، وإنطاق العجماء ، ونبع الماء من بين الأصابع ونحوها . ثم قال الإمام : إن ماجوزه العقل وورد به الشرع وجب القضاء بثبوته . مثل ذلك : عذاب القبر وسؤال منكر ونكير الخ . . .

— ٧ —

وفى باب الإمامة : يحدثنا الإمام عن الخلفاء الراشـــدين . وأن النبي ما نص على إمامة أحد من بعده . وأن الإمامة لدى المسلمين كانت اختياراً وكانت تتم بالإجماع — ولم يفت الإمام أن يشير إلى شرائط الإمامة .

وبهذا أتم الكلام فى « لمع الأدلة فى قواعد عقائد أهل السنة والجماعة » استجابة لما طلب منه .

أرجو أن أكون قد وفقت فيما قمت به من مجهود لإخراج هذه الرسالة عن نسخها الخطية والمصورة إلى نسختنا هذه . كل ذلك لإحياء أثر من آثار إمام الحرمين أبي المعالي القيمة . التي أرجو أن أوفق – فيما بعد – إلى القيام بتحقيقها ونشرها لبيان مآثر هذا الإمام العظيم .

وإني لأنتهز فرصـــة نشر هذا المخطوط برعاية مراقبة إحيـــاء التراث بشركة الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر لأشكر جميع الذين تفضلوا بمعاونتي في إخراجـــه ، وأخص بالذكر الدكتور محمد مصطفى حلمي أستاذ الفلسفة بجامعـــة القاهرة ، والمرحوم الدكتور محمود الخضيري الذي تكرم وراجع التحقيق قبل وفاته ، كما أتقدم بالشكر للسادة المختصين بدار الكتب المصرية ، وقسم إحياء المخطوطات القديمة بجامعة الدول العربية ، ومكتبة الأزهر الشريف ، لمعاونتهم لي في الوصول إلى الكثير من المصنفات الخطية التي استعنت بها في كتابة التقديم لهذا المخطوط ، والتي ما كنت أحصل عليها لولا مشاركتهم لي في البحث والتنقيب عنها . ولا أنسى فضل الشيخ حسن زيدان طلبة ، لقيامه بالإشراف على تصحيح الطباعة وتنسيق الكتاب ، كما أشكر أيضاً السادة المسئولين بالدار القومية للطباعة (فرع مصر) على ما بذلوه من عناية في إخراجه إلى عالم المطبوعات ؛ فلهؤلاء جميعاً أتقدم بالشكر الجزيل وفقنا الله لمـــا فيه خير الأمة العربية ؟

مصر الجديدة { في ربيع الأول سنة ١٣٨٥ هـ
يوليو سنة ١٩٦٥ م } فوقية حسين محمود

لمع الأدلة
في
قواعد عقائد أهل السنة والجماعة
لعبد الملك الجويني (إمام الحرمين أبو المعالي)

٤١٩ – ٤٧٨ هـ

تقديم وتحقيق
الدكتورة فوقية حسين محمود
مدرسة الفلسفة بكلية البنات
بجامعة عين شمس

راجع التحقيق
المرحوم الدكتور محمود الخضيري

[١١٧ ظ] (١ لمع فى قواعد أهل السنة والجماعة لإمام الحرمين ١)

(١ ، ١) ورد هذا العنوان بصدر نسخة ق قبل البسملة ويبدو أنه كتب حديثا (انظر صفحة ٦٥ من هذا الكتاب) وفى نسخة ب: «بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر وعن ياكريم. كتاب اللمع من تصانيف الامام الكبير امام الحرمين أبو المعالى قدس الله روحه العزيز . للعبد المذنب أبى زين اسماعيل بن ابراهيم بن الفرج الغنوى اللهم فقهه فى الدين برحمتك يا عزيز ياغفور ، برحمتك يا أرحم الراحمين» .

بسم الله الرحمن الرحيم

(١ وبه ثقتى وهو حسبى وكفى ١)

الحمد لله العليم ، القاهر الحكيم الذى وجب له القدم ، واستحال فى تعاليه (٢) تجويز العدم (٣ والصلاة على النبى ٣) مبيد الباطل ، وموضح الحق بواضحات الدلائل .

هذا وقد استدعيتم أرشدكم (٤) الله [عز وجل] (٥) ذكر لمع [من الأدلة] (٦) فى قواعد عقائد أهل السنة والجماعة .

فاستخرت الله تعالى فى إسعافكم بمناكم والله المستعان وعليه التكلان .

(١ ، ١) ساقط من : ب .
(٢) زادت ب بعد لفظ « تعاليه » : صفة .
(٣ ، ٣) ساقط من : ب .
(٤) كانت فى ق : « ان أشدكم » وهو تحريف والتصحيح من : ب ، ش .
(٥ ، ٦) الزيادة من : ب .

[١ ـ العالم وحدوثه]

(١ الأصل فى حدوث العالم ووجود الصانع ١)

اعلموا ـ وفقكم الله (٢) ـ (٣ أن الأولى تقديم ٣) عبارات اصطلح الموحدون عليها ابتغاء(٤) منهم لجمع المعانى الكثيرة فى الألفاظ الوجيزة .(٥)(٦)

فما أطلقوه : (٦ العالم ـ فإن قيل : ما العالم ولم سمى العالم : عالماً ؟

قلنا : العالم ـ عند سلف الأمـة : عبارة عن ٦) كل موجود سوى الله تعالى (٧)

(٨ وعند خلف الأمة : عبارة عن الجوهر والأعراض ٨)

(٩ فأما قوله : « لم سمى العالم : عالماً ؟ »

فأما : « العالم » فمشتق من العلم ، والعلامة :

وإنما سمى « العلم » : علماً ، لأنه أمارة منصوبة على وجود صاحب العلم فكذلك « العالم » بجواهره وأعراضه وأجزائه وأبعاضه ـ دلالة دالة على وجود الرب سبحانه وتعالى ٩) .

(١ ، ١) ب : « مسألة القول فى حدث العالم » وفى ش : « القول فى حدث العالم » .

(٢) ساقط من : ش ، وبدله فى : ب : « ثم » .

(٣ ، ٣) ش : « الأولى بالتقديم تفسير » .

(٤) ب ، ش : « روما » .

(٥) ش : « ألفاظ وجيزة » .

(٦ ، ٦) ب : « فى العالم هو أنه » وفى ش : « وهو » .

(٧) «تعالى» : ساقط من ب .

(٨ ، ٨) ب : «ثم العالم ينقسم الى الجواهر والأعراض» . وفى ش: « ثم العـــالم ينقسم الى جواهر وأعراض » .

(٩ ، ٩) ساقط من : ب وش .

فإن قيل : ما حد الجوهر وما حقيقة العرض ؟

قلنا : الجوهر قد ذكرتُ له حدوداً شتى ـ غير أنا نقتصر على ثلاثة منها ـ فنقول : الجوهر(١) : المتحيز

وقيل : الجوهر ـ ماله حجم

وقيل : الجوهر ـ ما يقبل العرض

فأما العرض فقد قيل : ما يقوم بالجوهر ١)

وقيل (٢ : ما يطرأ على الجواهر ٢) : (٣ كالألوان والطعوم والروائح والعلوم والقدر ؛ والإرادات الحادثة وأضدادها والحياة والموت ٣) .

(٤ وقيل : العرض : ما يستحيل عليه البقاء .

ثم اعلم أن الموجود : ينقسم إلى قديم وحادث ،

فالقديم : هو الموجود الذى لا أول لوجوده .

والحادث : هو الموجود الذى له أول ٤) .

(٥ فإن قيل : ما الدليل على حدوث العالم ؟

قلنا : الدليل عليه ـ أن أجرام العالم وأجسامها لا تخلو عن الأعراض الحادثة ، وما لا يخلو عن الحادث حادث .

السؤال على هذا الكلام من أربعة أوجه ٥) :

(١ ، ١) وردت هذه العبارة فى (ب) مع تقديم وتأخير وشىء من التصرف اللفظى مما لايخل بالمعنى ـ وفى ش : « فالجوهر كل ماله حجم ـ وقيـــل هـــو المتحيز ـ وقيل هـــو المستغنى عن المحل ـ وقيل هو القابل للأعراض ـ وقيل ماله حظ من المساحة » .

(٢ ، ٢) ساقط من : ب .

(٣ ، ٣) زيادة من : ب .

(٤ ، ٤) ساقط من ب . وفى ش لم يميز المتن من الشرح .

(٥ ، ٥) ب : « ثم حدث الجواهر ينبنى على أصول » ش : « ثم حدوث الجواهر ينبنى على أصول » .

(١ الأول – لانسلم ثبوت الأعراض

ولئن سلمنا ثبوت الأعراض فلا نسلم حدوثها

ولئن سلمنا حدوثها فلا نسلم استحالة خلو الجوهر عن هذه الأعراض الحادثة .

والرابع – لم قلت : إن مالا يخلو عن الحادث حادث ١) ؟

(٢ أما السؤال الأول : إنكار ثبوت الأعراض

الدليل على ثبوت الأعراض – أن العاقل إذا رأى جوهراً ساكناً ، ثم رآه متحركاً ، فقد أدرك التفرقة الضرورية [١١٨و] بين هاتين الحالتين :

وتلك التفرقة لا تخلو :

إما أن ترجع إلى ذات الجوهر .

أو إلى معنى زائد على الجوهر ؟

استحال أن يقال : ترجع التفرقة إلى ذات الجوهر ، لأن الجوهر فى الحالتين متحد ، والشيء لا يخالف نفسه ، فلا يقع الافتراق إلا بين ذاتين ، فصح ووضح بذلك أن التفرقة راجعة إلى معنى زائد على الجوهر ، وذلك هو العرض الذى ادعيناه ٢) .

(١ ، ١) ب : « ... منها – اثبات الأعراض ، ومنها – اثبات حدث الاعراض – ومنها – اثبات استحالة تعرى الجواهر عن الأعراض ومنها – استحالة حوادث لا أول لها ومنهـا – أن مالا يسبق الحوادث حادث » .

وفى ش : « منها اثبات الأعراض ومنها اثبات حدث الأعراض . ومنها اثبات استحالة تعرى الجواهر عن الأعراض . ومنها استحالة حوادث لا أول لها . فاذا ثبت هـذا فنقول : مالا يخلو عن الحوادث لا يسبقها ومالا يسبق الحوادث فهو حادث » .

(٢ ، ٢) – ب « **فأما الأصل الأول** – (فى اثبات وجود الأعراض) فقد أنكرت طائفة من الملحـدة : الأعراض ، وزعموا أن لا موجود الا الجواهر . والدليـل على اثبـات الأعراض : أنا رأينـا الجوهر سـاكنا ثم نراه متحركا **فندرك** (فانا ندرك) تفرقة ضرورة بين الحالتين – ولا يقع الافتراق الا بين ذاتين ، اذ الشيء لا يخالف نفسـه ، فوضح بذلك أن التفرقة آيلة الى الأعراض الزائدة (زائدة) على الجـوهر – ثم معظم الأعراض مدركة على الضرورة – فان العـاقل اذا طرأت عليـه الآلام واعترته الأسـقام (أسقام) أو نالته لذات ، أو أرهقته شهوات ، أو أدرك علوما – فانه يستيقن طروء هـذه المعانى على البديهة » . **وقد ورد كذلك فى ش مع اختلاف طفيف أثبته بين القوسين .**

(١ والسؤال الثانى : منع حدوث الأعراض .

والدليل على حدوث الأعراض – أنا نرى الأعراض المتضادة تتعاقب على محالها ، فنستيقن حدوث الطارئ منها ، من حيث وُجِدَتْ ، ونعلم حدوث السابق منها ، من حيث عُدِمَتْ ،

إذ لو كانت قديمة لاستحال عدمها ، لأن القدم ينافى العدم ، وإن ماثبت له القدم ، استحال عليه العدم ١) .

(٢ والدليل على استحالة تعرى الجواهر عن الأعراض :

أن الجواهر شاغلة للأحياز ، والجواهر الشاغلة للأحياز ، غير مجتمعة ولا مفترقة بحال ، بل باضـطرار يعلم أنها لا تخلو عن كونها مجتمعة أو مفترقة .

وذلك يقضى باستحالة خلوها عن الاجتماع والافتراق .

وكذلك نعلم ببديهـة العقـول : استحالة تعرى الأجرام عن الاتصـاف بالتحـرك والسـكون ، واللبث فى المحـال ، والزوال والانتقال ،

وكل ذلك يوضح استحالة تعرى الجواهر عن الأعراض٢) .

(١ ، ١) ب و ش : « وأما الأصل الثانى – حدوث الأعراض .

والدليل عليه : أنا نرى الأعراض المتضادة متعاقبة على محالها ونستيقن حدوث الطوارىء فيها . ونعلم أيضا حدوث السوابق من حيث عدمت ، اذ لو ثبت قدمها لاستحال عدمها » .

(٢ ، ٢) ب : « وأما الأصل الثالث فهو تبيين استحالة تعرى الجـواهر عن الأعراض والدليل عليه : أن الجواهر الشاغلة للأحياز لاتعقل الا مجتمعة أو متفرقـة ، بـل بالاضطرار نعلم (نعلم بالاضطرار) أنها لاتخلو من كونهـا مجتمعـة أو متفرقة ، وذلك يقضى باستحالة خلوها من الاجتماع والافتراق ، وكذلك نعلم ببديهة العقول استحـالة تعرى الأجرام عن الاتصاف بالتحرك والسكون ، والتأثير (واللبث) فى المحال والزوال والانتقال ، وكل ذلك يوضح استحالة تعريها عن الأعراض » وقد ورد كذلك فى « ش » مع اختلاف طفيف أثبته بين القوسين .

يلاحظ أن الاختلافات بين ب ، ش طفيفة وقد وضحتها هنا .

(١ والدليل على استحالة حوادث لا أول لها :

أن حقيقة الحادث : ماله أول . وإذن كان حقيقة كل حادث أن يكون له أول ، فبان كثرة الحوادث لا تخرج عن حقيقتها ، فيكون للكل أول .

وهذا كالجوهر — فإن حقيقة الجوهر : كونه متحيزاً ، فبالكثرة لايخرج عن حقيقته ، ويكون الكل متحيزاً ، فكذلك ههنا — إذا ثبتت الأعراض ، وثبت حدوثها ، وثبت استحالة تعرى الجواهر عنها ، وبطل قول الدهرى : — بأن الحوادث لا أول لها — فيترتب على ذلك أن الجواهر لاتسبق الأعراض الحادثة ، ومالايسبق الحادث حادث على الاضطرار ، من غير حاجة إلى نظر وافتكار ١) .

(٢ والدليل على أن العالم له صانع ٢) :

(٣ أنه قد صح حدوث العالم بالدلالة التى ذكرناها ٣)

(٤ والحادث جائز الوجود ٤) ، إذ يجوز تقدير وجوده (٥) بدلا (٦ عن عدمه ٦) ، ويجوز تقدير (٧) عدمه (٨) بدلا (٩ عن وجوده ٩)

(١ ، ١) ب : « وأما الأصل الرابع — وهو ايضاح استحالة حوادث لا اول لها • والدليل عليه (على ذلك) : أن دورات الأفلاك تتعاقب (تتوالى) وتقع كل دورة (منها) على أثر انقضاء التى قبلها • فلو انقضت (كانت) قبل الدورة التى قبلها (نحن فيها) دورات لانهاية لأعدادها ، ولا غاية لآحادها لكان ذلك مؤديا لما لانهاية لها (لما كان مؤذنا بتناهيها) اذ مالا يحصره عدد ولا يضبطه أمد لايتقرر فى العقول انقضاؤه ولا يتحقق انتهاؤه — فلما انقضت الدورات قبل الدورة الناجزة (المتأخرة) دل على نهاية أعدادها واذا تناهت انتهت الى أول • ونفرض هذا الدليل ، ونقرر هذا السبيل فى جملة متعاقبات ، كالأولاد والوالدين والبذر والزرع ونحوها ، واذا ثبتت هذه المقدمات ، ثبتت عليها (ترتب) استحالة خلو الجواهر عن الحوادث المسندة الى أول ، وما لايخلو عن الحوادث حادث على الاضطرار — من غير حاجة الى نظر واعتبار » وما بين القوسين ورد فى نسخة ش .

(٢ ، ٢) ب ، ش : « فصل فى اثبات العلم بالصانع » •

(٣ ، ٣) ب و ش : « اذا ثبتت الحوادث » •

(٤ ، ٤) ب و ش : « وهى جائزة الوجود » •

(٥) ب و ش : « وجودها » •

(٦ ، ٦) ساقط من ب و ش •

(٧) زادت (ب ، ش) هنا كلمة : « استمرار » .

(٨) ب و ش : العدم .

(٩ ، ٩) ب و ش : « من الوجود » .

(١ فلما اختص ١) بالوجود الممكن (٢ بدلا عن العدم الجائز ٢) افتقر (٣) إلى مخصص — (٤ وهو الصانع تعالى ٤) .

ويستحيل أن يكون (٥ مخصص العالم ٥) طبيعة كما صار (٦) إليه الطبائعيون . (٧ ويستحيل أن يكون علة موجبة — كما صار (٦) إليه الأوائل ؛ لأن تلك الطبيعة لا تخلو : إما أن تكون قديمة ، أو حادثة ٧) :

(٨ فإن كانت قديمة ، لزم قدم آثارها ، فإن الطبيعة عند مثبتها لا اختيار لها ، وهى موجبة آثارها — عند ارتفاع الموانع وقد صح حدوثها ٨) .

وإن كانت الطبيعة (٩) حادثة ، افتقرت إلى (١٠ طبيعة أخرى ١٠) ثم الكلام (١١ فى تلك الطبيعة ، كالكلام فى تلك الطبيعة ، كالكلام فى هذه الطبيعة ١١) .

(١٢ وينساق هذا القول ١٢) إلى إثبات حوادث لا أول لها ، وقد تبين بطلان ذلك .

(١٣ فوضح بذلك ١٣) أن مخصص العالم : صانع ، مختار ، موصوف بالاقتدار والاختيار .

(١ ، ١) ب : « فاذا اختصت » .

(٢ ، ٢) ساقط من ب و ش .

(٣) ب و ش : « افتقرت » .

(٤ ، ٤) ساقط من ب و ش .

(٥ ، ٥) ب و ش : « المخصص » .

(٦) كانت فى الأصل : « كما صارت » .

(٧ ، ٧) ساقط من ب .

(٨ ، ٨) ذكرت هذه العبارة فى ب و ش — مع تقديم وتأخير — هكذا : « فان الطبيعة عند مثبتيها لا اختيار لها وهى موجبة آثارها عند ارتفاع الموانع وانقضاء الدوافع ، فان كانت الطبيعة قديمة لزم قدم آثارها وقد وضح حدث العالم » .

(٩) ساقط من ب .

(١٠ ، ١٠) ب « محدث » .

(١١ ، ١١) ب « كالكلام فيها » .

(١٢ ، ١٢) فى ب : « يؤدى القول » .

(١٣ ، ١٣) ب « ووضح » .

[٢ - الله وصفاته]

[١١٨ظ] فصل

صانع العالم : أزلى الوجود ، قديم الذات ، لا [١] مفتتح لوجوده ، ولا مبتدأ لثبوته [١] .

والدليل عليه [٢] : أنه تعالى [٣] لو كان حادثاً لشارك الحوادث فى الافتقار إلى مُحدِث .

ثم [٤] الكلام فى مُحدِثه ينزل منزلة الكلام فيه [٤] ويتسلسل القول [٥] ويؤدى [٦] ذلك [٧] إلى إثبات [٨] حوادث لا أول لها . وقد سبق [٩] بطلان ذلك [٩] .

فصل

[١٠] صانع العالم [١٠] : حى ، عالم بجميع المعلومات ، قادر على جميع المقدورات .

فإنا ببداهة العقول – نعلم استحالة صدور الأفعال من [١١] العاجز عنها .

(١ ، ١) وردت هذه العبارة فى ب بتقديم الجملة الأولى على الثانية واستبدال لفظ «لثبوته» بلفظ « لأزليته » – وفى ش : وردت كما هى مع استبدال لفظ « مفتتح » بلفظ « مبتدأ » ولفظ «مبتدأ» بلفظ «مفتتح» .

(٢) ساقط من ش .

(٣) ساقط من ب و ش .

(٤ ، ٤) ب و ش « ثم يلزم فى محدثه ما يلزم فيه » .

(٥) زيادة من ب .

(٦) ب و ش : « ويفضى » .

(٧) ساقط من ب و ش .

(٨) ساقط من ب .

(٩ ، ٩) ب : «وقد سبق القول والدليل على استحالة ذلك» وفى ش: «استحالة ذلك» .

(١٠ ، ١٠) ب : «البارى تعالى» .

(١١) ب : «عن» .

وكذلك يستيقن كل لبيب : أن الأفعال المحكمة [١] المتقنة [٢] الواقعة على أحسن ترتيب ونظام (وإتقان وإحكام) [٣] لا تصدر إلا من [٤] عالم بها ،

ومن جوز صدور [٥] خط منظوم على ترتيب معلوم – من غير عالم بالخط : كان من [٦] المعقول [٧] خارجاً ، وفى تيه الجهل والجاً .

وإذا ثبت [٨] كون صانع العالم : [٩] عالماً ، قادراً [٩] فبالاضطرار يعلم كونه حياً ، إذ يستحيل أن يتصف بالعلم ، والقدرة : ميت ، أو جماد وتجويز [١٠] ذلك : مراغمة ، وعناد .

فصل

صانع العالم : مريد [١١] على الحقيقة [١١] – عند أهل الحق [١٢] .

وأنكر الكعبي : كونه مريداً على الحقيقة – وزعم [١٣] : أنه تعالى [١٤] لو وصف بكونه مريداً لأفعال نفسه ، فالمراد بذلك : أنه خالقها ، ومنشئها ، ولو وصف بكونه مريداً لبعض أعمال العباد فالمراد بذلك أنه أمر بها [١٤] .

وزعم : أن كون الإله عالماً بوقوع الحوادث فى أوقاتها على خصائص

---

(١) ساقط من ب .

(٢) ش : « المتقنة المعنى » .

(٣) زيادة من ب ، ش .

(٤) ب : « عن » .

(٥) ش : « ترتيب » .

(٦) ب ، ش : « عن » .

(٧) ش : « سنن العقول » .

(٨) ب و ش : « استبان » .

(٩ ، ٩) ب و ش : « قادرا ، عالما » .

(١٠) ب « فتجويز » .

(١١ ، ١١) ساقط من ب .

(١٢) ساقط من ش .

(١٣) ب : « فزعم » .

(١٤ ، ١٤) وردت هذه العبارة فى ب ، ش : مع تقديم وتأخير واستبدلت « لو » بـ « اذا » و « بذلك » بـ « به » كما سقط كلمة « بعض » .

صفاتها يغنى (١) عن تعلق الإرادة (٢) بها .

وهذا باطل — إذ لو أغنى كونه عالماً ، عن كونه مريداً ، لأغنى (٣ كونه عالماً ٣) ، عن كونه قادراً — (٤ وليس كذلك ٤) .

وأيضاً (٥) : قد وافقونا (٦) على افتقار أفعال المحدثين إلى إرادتهم (٧) .

فصل (٨)

ذهب (٩) معتزلة البصرة إلى أن البارى تعالى مريد بإرادة (١٠) حادثة (ثابتة) (١١) لا فى محل .

والذى قالوه باطل : لأن (١٢) الحوادث إنما (١٣) افتقرت إلى إرادة لحدوثها (١٤) .

ولو (١٥) كانت (١٦ الإرادة حادثة لافتقرت أيضاً إلى إرادة أخرى لحدوثها ١٦) .

(١) ش : « مغن » .
(٢) ب : « الارادات » .
(٣ ، ٣) ساقط من ش .
(٤ ، ٤) ساقط من ب و ش .
(٥) لفظ : « أيضا » ساقط من ش .
(٦) ب : « وقد وافقنا » وفى ش : « وقد اتفقنا » .
(٧) ب : « ارادتها » .
(٨) هذا الفصل جاء فى ب بعد قوله : « فصل صانع العالم مريدعند أهل الحق واحد ... » الذى جاء ذكره فى نسخة ق كما فى صفحة ٨٦ القادمة من نسختنا هذه .
(٩) ب : « ذهبت » .
(١٠) ب : « بارادات » .
(١١) زيادة من ب و ش .
(١٢) ب : « فان » .
(١٣) ب : « اذا » .
(١٤) ساقط « من ب و بدلها فى ش : « أخرى » .
(١٥) ساقط من ب .
(١٦ ، ١٦) وردت فى ب هكذا : « .. وكانت الارادة حادثة فهى أيضا مفتقرة لحدوثها الى ارادة » وفى ش هكذا : « اثبات : ثم تلك الارادة الى ارادة » .

ثم يؤدى إثبات (١) ذلك إلى إثبات إرادات لا نهاية لها .

فإذا بطلت هذه المذاهب : لم يبق (٢ — بعد ذلك — ٢) إلا القطع بما صار إليه أهل الحق ، من وصف البارى (٣ سبحانه وتعالى ٣) بكونه مريداً بإرادة قديمة أزلية .

فصل

صانع العالم : سميع و (٤) بصير متكلم ،

إذ قد ثبت كونه حياً . والحى لا يخلو عن الاتصاف بالسمع والبصر والكلام وأضدادها (٥) .

وأضداد هذه الصفات نقائص .

والرب — (٦ سبحانه وتعالى ٦) — يتقدس عن سمات النقص .

فصل

الرب — (٧ سبحانه وتعالى ٧) — باق واجب الوجود .

إذ قد ثبت — بما قدمناه (٨) — قدمه .

والقديم يستحيل عدمه — باتفاق من العقلاء ، وذلك يصرح (٩) بكونه باقياً [١١٩و] مستمر الوجود .

(١) ساقط من « ش » .
(٢ ، ٢) ب ، ش : « بعدها » .
(٣ ، ٣) ساقط من ش وفى ب : « عز وجل » .
(٤) « و » ساقط من ب .
(٥) ساقط من ش .
(٦ ، ٦) ب : « عز وجل » .
(٧ ، ٧) ب : « عز وجل » .
(٨) ش : « وتقدم » .
(٩) ش : « تصريح » .

فصل [١]

صانع العالم : [٢] واحد – عند أهل الحق [٢]

[٣] والواحد الحقيقى : هو الشىء الذى لا ينقسم [٣] .

والدليل على وحدانية الإله : أنا لو قدرنا إلهين اثنين [٤] وفرضنا [٥] عرضين ضدين [٦] وقدرنا إرادة أحدهما لأحد الضدين [٦] ، [٧] وإرادة الثانى للثانى [٧] – [٨] فلا يخلو من أمور ثلاثة :

إما أن تنفذ إرادتهما .

أو لا تنفذ إرادتهما .

أو تنفذ إرادة أحدهما دون الآخر [٨] .

[٩] واستحال أن تنفذ إرادتهما ، لاستحالة اجتماع الضدين . واستحال أيضاً ألا تنفذ إرادتهما ، لتمانع الإلهين ، وخلو المحل عن كلا الضدين [٩] .

[١٠] فإذا بطل القسمان تعين الثالث [١٠] :

[١٢] وهو أن تنفذ إرادة أحدهما ، دون الآخر ،

فالذى لا تنفذ إرادته فهو المغلوب المقهور المستكره .

والذى نفذت إرادته ، فهو الإله القادر على تحصيل ما يشاء .

(١) تقدم ذكر هذا الفصل فى ب : قبل « فصل : ذهبت معتزلة البصرة .... » الوارد بصفحة ٨٤ الماضية ، وفى ش : « فصل فى الوحدانية » .

(٢ ، ٢) ب : «عند أهل الحق واحد » .

(٣ ، ٣) ب و ش : « وحقيقة الواحد : الذى لا ينقسم » .

(٤) «اثنين» ساقط من ب و ش .

(٥) ب : « وقدرنا » .

(٦ ، ٦) ب و ش : « فان جوزنا ارادة أحدهما لأحد الضدين » .

(٧ ، ٧) ساقط من ش .

(٨ ، ٨) ساقط من ب و ش .

(٩ ، ٩) ب ، ش : « استحال نفوذ ارادتهما واستحال أن لاتنفذ ارادتهما جميعا ، لامتناع وجود ضدين والخلو عنهما » .

(١٠ ، ١٠) ساقط من ب و ش – (١٢) : انظر هامش ١ من الصفحة ٨٧ التالية . =

فإن قيل : لم لا يجوز أن يتوافقا أبداً ، ولا يختلفا قط ؟

قلنا : إن لم نجوز اختلافهما فى الإرادة ، كان محالا [١] :

إذ [٢] وجود أحدهما ، ووجود صفاته ، يستحيل أن يمنع الثانى من أن يريد ما يصح إرادته [٣] عند تقدير الانفراد ، والعاجز منحط [٤] عن رتبة الربوبية [٤] وذلك مضمون قوله تعالى [٥] : « لَوْ كانَ فيهما آلهة إلا اللهُ لفسدَتا [٦] » . أى [٧] : لتناقضت أحكامهما عند تقدير القادرين على الكمال .

فصل

القديم [٨] (البارى سبحانه و) تعالى : عالم بعلم قديم ، قادر بقدرة قديمة ، حى بحياة قديمة .

وذهب [٩] المعتزلة إلى أن البارى [١٠] تعالى عن قولهم [١٠] :

[١١] حى عالم قادر [١١] بنفسه [١٢] . وليس [١٣] له قدرة ولا علم ولا حياة [١٣] .

[١٤] دليلنا فى المسألة أن نقول [١٤] :

= «١ ، ١٢ من الصفحة ٨٦ السابقة» فى ب و ش : « وان نفذت ارادة أحدهما كان الثانى مغلوبا مستكرها ، وان لم نجوز اختلافهما فى الارادة كان محالا » .

(٢) زادت « ب » هنا لفظ : « مع » .

(٣) كانت فى الأصل « اردته » وهو غلط .

(٤ ، ٤) ب و ش : « والعاجز عن رتبة الالهية منحط ... » .

(٥) ب : « عز وعلا » .

(٦) من الآية ٢٢ من سورة الأنبياء ٢١ .

(٧) ب : « معناها » بدل « أى » .

(٨) ساقط من ب ، ش . وقوله « البارى سبحانه و » ساقط من الاصل .

(٩) ب : « وذهبت » .

(١٠ ، ١٠) ساقط من ب .

(١١ ، ١١) ورد فى ب بتقديم وتأخير هكذا : « قادر ، عالم ، حى » .

(١٢) ش : « لنفسه » .

(١٣ ، ١٣) ش : « حياة وعلم وقدرة » .

(١٤ ، ١٤) ب و ش : « و » .

قد تقرر (١) فى العقول — أن ما يعلم به المعلوم علم .

فلو علم البارى تعالى (٢) المعلومَ بنفسه ، لكان نفسه علماً ، إذ كل متعلق بمعلوم تعلق إحاطة به : علم .

وقد تحكمت المعتزلة فى صفات البارى (٣) تعالى — فزعمت (٤) أنه (٥ عالم حى ٥) قادر بنفسه ، مريد بإرادة حادثة .

فلو (٦) عكس عاكس ما قالوه ، وزعم : أنه عالم بعلم حادثٍ ، مريدٍ بنفسه — لم يجدوا بين ما اعتقدوه وبين ما ألزموه (٧) فصلا .

فإن قالوا : لو كان البارى تعالى (٨) مريداً بنفسه ، لكان مريداً لكل مراد ، كما أنه تعالى (٩) لما كان عالماً بنفسه ، كان عالماً بكل (١٠) معلوم (١١) .

قلنا : (١٢ هو باطل ، على فساد مذهبكم ومعتقدكم بكوْن البارى تعالى قادراً ١٢) فإن ذلك من صفات النفس (عندكم) (١٣) .

---

(١) ش : « تحقق » .
(٢) ب و ش : « سبحانه » بدلا من « تعالى » .
(٣) ب : « الرب » .
(٤) ش : « وزعمت » .
(٥ ، ٥) ب : « حى عالم » .
(٦) ش : « ولو » .
(٧) كذا ب ، ش وكانت فى ق : « الزموهم » .
(٨) ش : « سبحانه » .
(٩) « تعالى » ساقط من ش .
(١٠) ب : « لكل » .
(١١) ش : « المعلومات » . وفى ب فى هذا الموضع زيادة هكذا : « والمعلومات كلها معلومة له » .
(١٢ ، ١٢) كذا فى ب ، ش وكان فى ق هكذا : « هذا ما باطل على فاسد معتقدكم يكون الاله قادرا » .
(١٣) زيادة من ب .

ثم يختص كون الإله قادراً — عندكم (١) — ببعض المقدورات .

ولا يتصف الرب (عز وجل) (٢) بالاقتدار على مقدورات العباد .

وقد صرحت نصوص من كتاب الله تعالى بإثبات (٣) الصفات ، منها : (٤) قوله تعالى : « وَمَا تحملُ منْ أنثَى ولاتضَعُ إلا بعلمه » (٥) .

(٦ وقال عز من قائل ٦) : « أنزَلَهُ بعلمه » (٧) .

وقال سبحانه (٨) متمدحاً (٩) مثنياً على نفسه : « إن اللهَ هوَ الرزاقُ ذو القوة المتينُ » (١٠) .

(١١ أثبت لنفسه القوة ١١) — وهى القدرة — باتفاق المفسرين .

فصل

وقد ذكرنا : أن البارى تعالى : متكلم

فاعلم (١٢) أن كلامه (١٣ : قديم ، أزلى ١٣) (لامبتدأ لوجوده) (١٤)

وذهب (١٥) المعتزلة ، والنجارية ، والزيدية ، والإمامية ، والخوارج إلى أن كلام الله (١٦) تعالى : حادث .

---

(١) ب و ش : « على زعمكم » .
(٢) زيادة من ب . وفى ش : « تعالى » .
(٣) ب : « على اثبات » .
(٤) ب و ش : « فمنها » .
(٥) (من الآية ١١ من سورة فاطر « ٣٥ ») .
(٦ ، ٦) ب : « وقال تعالى » وهذه العبارة ساقطة من ش .
(٧) (من الآية ١٦٦ من سورة النساء «٤») .
(٨) ش : « تعالى » .
(٩) ب : « ممتدحا » .
(١٠) (الآية ٥٨ من سورة الذاريات «٥١») .
(١١ ، ١١) ساقط من ب — وفى ش : « فاثبت لنفسه القوة » .
(١٢) زادت « ب » هنا : « الآن » .
(١٣ ، ١٣) ب : « أزلى ، قديم » وفى ش : « كلام الله تعالى : قديم أزلى » .
(١٤) زيادة من ب .
(١٥) ب : « وذهبت » .
(١٦) ب : « البارى » وفى ش : « الله سبحانه وتعالى ... » .

[١١٩ ظ] وامتنعت (١) طوائف – من هؤلاء – من (٢) إطلاق القول بكونه مخلوقاً ، (٣ فسموه : حادثاً و محدثاً .

وأطلق المتأخرون – من المعتزلة – قولهم بكونه مخلوقاً ٣) .

والدليل على قدم كلام الله تعالى (٤) (٥ أنه لو كان حادثا ٥) : لم يخل من أمور (ثلاثة ٦) :

إما (أن ٧) يقوم بذات البارى تعالى .

أو يقوم (٨) بجسم من الأجسام .

أو يقوم (٩) لا بمحل . بطل (١٠) قيامه به ، (١١ إذ يستحيل قيام الحوادث بذات البارى ١١) تعالى ، (١٢ فإن الحوادث لا تقوم إلا بحادث ١٢) .

(١٣ وبطل قيام كلامه بجسم ، إذ يلزم أن يكون المتكلم ذلك الجسم ١٣)

ويبطل قيام (١٤) الكلام لا بمحل ، (١٥ فإن الكلام الحادث ١٥) عرض من

---

(١) ش : « امتنع » .
(٢) ب : « عن » .
(٣ ، ٣) ساقط من ش . وفى ق كان قوله : « حادثا محدثا » . بدلا من «حادثا ومحدثا» .
(٤) زادت «ب» هنا : « الاتفاق على أنه متكلم بكلام » .
(٥ ، ٥) ب : « فلو كان كلامه حادثا » .
(٦) زيادة من ش .
(٧) زيادة من ب .
(٨) ساقط من ب و ش .
(٩) ساقط من ش .
(١٠) ب و ش : « باطل » .
(١١ ، ١١) ب : « اذ يستحيل قيام الحوادث بذاته » وفى ش : « فان الحوادث يستحيل قيامها بذاته سبحانه » .
(١٢ ، ١٢) ب : «ولا تقوم الحوادث الا بحادث» وفى ش : «فانه لا تقوم الحوادث الا بحادث» .
(١٣ ، ١٣) ب : « ولو قام كلامه لكان المتكلم المتكلم به » . وفى ش : « لو قام بجسم ، لكان المتكلم به » .
(١٤ ، ١٤) ش : « وجود » بدلا من « قيام » .
(١٥ ، ١٥) ب و ش : « لأنه » .

الأعراض ، ويستحيل قيام الأعراض بأنفسها ، إذ لو جاز ذلك فى ضرب منها ، لزم (١) فى سائرها .

فصل

الكلام الحقيقى ، شاهداً (٢) ، حديث النفس (٣) ،

وهو الذى تدل عليه العبارات المتواضع عليها : وقد تدل عليه : الخطوط والرموز والإشارات .

وكل ذلك أمارات على الكلام القائم بالنفس ، ولذلك قال الأخطل : (٤)

إن الكلام لفى الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد (٥) دليلا

ومن الشواهد على ذلك : من (٦) كتاب الله (٧ عز وجل ٧) فى الإخبار عن المنافقين (٨ قوله تعالى :

« إذا جاءَكَ المنافقونَ ٨) قالوا نشْهدُ إنك لرَسولُ اللهَ » (٩) الآية

---

(١) ب : « لجاز ذلك » .
(٢) ش : « هو » بعد قوله : « شاهدا » .
(٣) ش : « للنفس » .
(٤) هو غياث بن غوث بن الصلت أحد بنى جسم بن بكر ثم أحد بنى تغلب وكنيته أبو مالك . ولد حوالى سنة ٦٤١ م وهو شاعر عظيم من شعراء الدولة الأموية وكان نصرانيا (من شرح شذور الذهب لابن هشام سنة ٧٦١ هـ بتحقيق الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد – الطبعة الخامسة سنة ١٣٧١ هـ ١٩٥١ م) بصفحة ٢٨ منه قال الأخطل :

لا يعجبنك من خطيب خطبة ❊ حتى يكون مع الكلام أصيلا
ان الكلام لفى الفؤاد وانما ❊ جعل اللسان على الفؤاد دليلا

(٥) ب : « الكلام » بدلا من « الفؤاد » .
(٦) « من » زيادة من « ش » .
(٧ ، ٧) ش : « تعالى قوله » .
(٨ ، ٨) ساقط من ش . ب : « بقوله » .
(٩) الآية ١ من سورة « المنافقون ٦٣ » . وسقط من « ب » : (قالوا نشهد انك لرسول الله) ووردت تكملة الآية فى ش : « والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون » .

ونحن نعلم أن الله تعالى لم (١ يكذبهم فى إقرارهم ، وإنما يكذبهم فيما تجنه سرائرهم [و] تكنه ضمائرهم ١) .

إذا ثبت أن القائم بالنفس : كلام ، وليس هو حروفاً (٢) منتظمة ولا (٣ أصواتاً مقطعة ٣) من مخارج الحروف ، فليستيقن (٤) العاقل : أن (٥ الكلام القديم ٥) : ليس بحروف ، ولا (٦) أصوات ، ولا ألحان ولا نغمات (٦) ،

فإن الحروف (٧ تتوالى وتترتب ٧) ، ويقع (٨) بعضها مسبوقاً ببعض (٩) – وكل مسبوق حادث .

فصل

وكلام (١٠ الله تعالى ١٠) مقروء بألسنة القراء ، محفوظ بحفظ (١١) الحفظة ، مكتوب (١٢) فى المصاحف [على الحقيقة] (١٣) .

والقراءة : أصوات القارئين ونغماتهم .

(١ ، ١) ب ، ش : « لم يكذب المنافقين فى ألفاظهم ، بل كذبهم فى ما تجن ضمائرهم وقوله سبحانه : (ويقولون فى أنفسهم ...) الآية » وهى من الآية ٨ من سورة المجادلة ٥٨ .

(٢) ش : « بحروف » .

(٣ ، ٣) ب و ش : « فاذا ثبت أن القائم بنفسه هو الكلام . وليس هو بحروف منتظمة والأصوات متقطعة » .

(٤) ب و ش : « فيستيقن » .

(٥ ، ٥) ش : « كلام البارى سبحانه وتعالى قديم » .

(٦) ساقط من ب .

(٧ ، ٧) ش : « تتعاقب وتتوالى » .

(٨) ب : « ويقال » .

(٩) ب : « لبعض » .

(١٠ ، ١٠) ب : « البارى عز وجل » .

(١١) ب و ش : « فى صدور » بدلا من « بحفظ » .

(١٢) ب : « مكتتب » .

(١٣) زيادة من ب و ش .

وهى من (١) الأفعال (٢) التى يؤمر بها ، وينهى عنها ، ويثاب المكلف عليها ، وقد يعاقب على تركها .

وكلام الله تعالى – : هو المعلوم المفهوم منها

والحفظ (٣) : صفة الحافظ

والمحفوظ : كلام الله (٤ عز وجل ٤)

والكتابة : أحرف منظومة ، وأشكال مرقومة – وهى : حوادث . والمفهوم منها (٥) : كلام الله تعالى (٦) . كما أن الله تعالى : (٧ مكتوب ، معلوم ، مذكور ٧) ، وهو غير ذكر الذاكرين وعلم العالمين ، وكتابة (٨) الكاتبين .

---

(١) « من » ساقط من ش .

(٢) ب : « الأعمال » .

(٣) فى ق : « والخط » والتصحيح من ب ، ش .

(٤ ، ٤) ش : « تعالى » .

(٥) « منها » ساقط من ب .

(٦) زادت ب هنا « وهذا » .

(٧ / ٧) ورد فى ب بتقديم وتأخير هكذا : « مذكور ، معلوم ، مكتوب » . وفى ش ورد لفظ : « مذكور » فقط .

(٨) ب : « وكتاب » .

باب *

(ذكر ما يستحيل فى أوصاف البارى تعالى [١])

(يشتمل على فصول [٢])

(وجملة القول فيه [٢]) :

أن كل ما يدل على الحوادث[٣] ، وعلى سمة[٤] النقص[٥] ، فالرب[٦] يتعالى ويتقدس عنه [٦]) وهذه الجملة [١٢٠ و] تتبين بفصول [٧] تشتمل على تفصيلات منها [٧]) :

[٨] أن الرب [٨]) — تعالى — متقدس عن الاختصاص بالجهات والاتصاف بالمحاذاة [٩] ، [١٠] لا تحيط به الأقطار [١٠]) ، ولا تكتنفه الأقتار [١١] ، ويجل عن قبول الحد والمقدار .

والدليل على ذلك : أن كل مختص بجهة [١] شاغل لها [١]) : متحيز . وكل متحيز [٢] قابل لملاقاة الجواهر ومفارقتها . وكل ما يقبل الاجتماع والافتراق لا[٣] يخلو عنها وما لا يخلو[٤] عن الاجتماع والافتراق [٤]) حادث ، كالجواهر[٥] .

[٦] فإذا ثبت تقدس البارى عن التحيز ، والاختصاص بالجهات ، فيترتب على ذلك تعاليه عن الاختصاص بمكان ، وملاقاة أجرام ، وأجسام [٦]) .

فإن سئلنا عن قوله تعالى : « الرحمنُ علىَ العرْشِ استوَى »[٧]

قلنا : المراد بـ « الاستواء » القهر ، والغلبة ، والعلو[٨]

ومنه[٩] قول العرب : استوى فلان على المملكة — أى [١٠] استعلى [١١] عليها واطردت له .

ومنه قول الشاعر :

قد استوى بشر على العراق ... من غير سيف ودم مهراق

(*) انظر ص ٦٧ السابقة .

(١) زيادة من ب و ش الا انه فى ش استبدل لفظ « البارى » بلفظ : « الله » .

(٢) ساقط من ب .

(٣) ق : « الحدوث » .

(٤) « سمة » ساقط من ب .

(٥) ش : « نقص » .

(٦ ، ٦) ورد فى ب هكذا : « فالرب يتعالى ومتقدس » وورد فى ش هكذا : « فالرب سبحانه يتعالى ويتقدس على ذلك » .

(٧ ، ٧) ورد فى ب هكذا : « وتفصيلها » . وفى ش هكذا : « تشتمل على تفصيلات » .

(٨ ، ٨) ب : « أنه » .

(٩) ب : « بالحادثات » .

(١٠ ، ١٠) ب : « لا تحده الأقطار » . وفى ش : « لا تحده الأفكارولا تحويه الاقطـــار » .

(١١) ش : « الأقذار » .

(١ ، ١) ب : « متشاغل بها وهو » .

(٢) ساقط من ب .

(٣) ب : « فلا » .

(٤ ، ٤) ب : « عنهما » .

(٥) ساقط من ب .

(٦ ، ٦) ب : « واذا.» بدلا من « فاذا » و « فترتب » بدلا من « فيترتب » وســـقطت العبارة كلها من « ش » .

(٧) (الآية ٥ من سورة طه ٢٠) .

(٨) « والعلو » ساقط من ش .

(٩) ق : « منه » .

(١٠) ب : « اذا » بدلا من « آى » .

(١١) ش : « اســتوى » .

فصل

الرب — (١ سبحانه وتعالى ١) — يتقدس(٢) عن قبول الحوادث .

واتفق (٣ على ذلك : أهل الملل والنحل ٣) .

وخالف إجماع الأمة : طائفة نبغوا من سجستان ، لقبوا بـ « الكرامية » .

فزعموا (٤) : أن الحوادث تطرأ على ذات البارى — تعالى (٥ عن قولهم ٥) —

وهذا (٦) نص (٧) مذهب المجوس .

والدليل على استحالة قيام الحوادث بذات البارى تعالى(٨) : أنها (٩) لو قامت به — لم يخل عنها . ومالم يخل عن الحوادث حادث .

(١ ، ١) ب : « عز وجل » .
(٢) ش : « تقدس » .
(٣ ، ٣) وردت فى ب بتقديم وتأخير هكذا : « أهل النحل والملل : على ذلك » .
(٤) ب : « وزعموا » .
(٥ ، ٥) ساقط من ب وفى ش لم يتميز الشرح من المتن .
(٦) ب : « وهو » .
(٧) ش : « نظير » .
(٨) ساقط من ب : وفى ش : « البارى سبحانه وتعالى » .
(٩) ب : « أنه » .

[٢- إرادة الله وإرادة العبد]

فصل

الحوادث كلها (١) تقع مرادة لله تعالى — (٢ نفعها ، وضرها ٢) وخيرها ، وشرها .

وذهبت المعتزلة ومن تبعهم من أهل الأهواء إلى أن الواجبات والمندوبات — من الطاعات — مرادة لله تعالى ، وقعت أو لم تقع .

والمعاصى والفواحش — تقع — والله تعالى(٣) كاره لها (٤) ، غير مريد لوقوعها (٥) — (٦ وهى تقع على كره ٦) .

والمباحات ، وما لايدخل تحت التكليف — من أفعال البهائم ، والمجانين — تقع (٧) — وهو(٨) لايريدها ولا يكرهها .

وإذا دللنا على أن الرب (٩) — سبحانه وتعالى — خالق لجميع الحوادث .

فيترتب (١٠ على ذلك ١٠) أنه مريد لما خلق ، قاصد إلى إبداع ما اخترع .

---

(١) « كلها » زيادة من ب .
(٢ ، ٢) ساقط من ش .
(٣) « تعالى » ساقط من ب .
(٤) ب : « لوقوعها » بدلا من « لها » .
(٥) ب « لها » بدلا من « لوقوعها » .
(٦ ، ٦) ساقط من ش .
(٧) ساقط من ب .
(٨) ب : « فهو » .
(٩) ساقط من ب ، ش .
(١٠ ، ١٠) ب ، ش : « عليه » .

ثم نقول :

قد قضت العقول بأن قصور الإرادة ، وعدم نفوذ المشيئة من أصدق الأمارات الدالة(١) على سمات النقص والاتصاف (٢ بالعجز ، والقصور ٢) .

ومن(٣) ترشح(٤) للملك ، ثم (٥) كان لاينفذ مراده فى أهل مملكته — عد ضعيف المُنّة ، (٦ ومضاع الفرصة ٦) .

فإذا كان ذلك يزرى على من (٧ ترشح للملك ، فكيف يجوز ذلك فى صفة ملك الملوك ، ورب الأرباب٧) .

فإن قالوا :

الرب — سبحانه (٨) وتعالى — قادر على أن يرد (٩ الخلائق إلى طاعته قهراً وقسراً ، ويظهر٩) آية تظل رقاب الجبابرة (١٠لها خاضعة ١٠) ؟ .

قلنا :

من فاسد أصلكم : أنه لا يجوز (١١) فى حكمه (١٢) إجبار الخلائق(١٣) على الطاعات ، واضطرارهم إلى الخيرات . ولا يريد منهم (١٤ الإيمان إجباراً ، وإنما يريده منهم إختياراً . فمايريده لايقدر عليه ، ومالا يقدر عليه لايريده ١٤) .

---

(١) كذا فى ش ، وكانت فى ق « الأمارة » وسقطت منها « الدالة » وفى ب « الأمارات » .

(٢ ، ٢) ورد فى ب ، وفى ش بتقديم وتأخير « بالقصور والعجز » .

(٣) ب : « فمن » .

(٤) كانت فى ق « توشح » وفى ش : « ترشم » .

(٥) ب : « و » بدلا من « ثم » .

(٦ ، ٦) ب : « مضياعا للفرصة » . وفى ش : « ومضياعا للرغبة » .

(٧ ، ٧) وردت هذه العبارة بتقديم وتأخير فى ب ، ش .

(٨) ساقط من ب ، ش .

(٩ ، ٩) ب : «العباد الى الطاعة قسرا » . وفى ش : «الخلائق الى الطاعة قهرا» .

(١٠ ، ١٠) كانت فى ق : «ولها خاصة» . ب : «بها» .

(١١) ساقطة من ب .

(١٢) ب : «الحكم» . وفى ش : «حكم الله» .

(١٣) ش : «الخلق» .

(١٤ ، ١٤) ب : « ذلك وانما يريد منهم الايمان على الاختيار . وما يريده لا يقدر عليه وما يقدر عليه لا يريده » . وفى ش : « ذلك وانما يريد منهم الاختيار » .

وقد أجمع سلف الأمة وخلفها على كلمة لا يجحدها مُعتَزٍ إلى الإسلام ، وهى (١) قولهم : « ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن » .

والآيات الشاهدة(٢) لأهل الحق لا تحصى كثرة .

ومنها (٣) :

قوله تعالى : « وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى » (٤)

[١٢٠ ظ] (٥ ومنها قوله تعالى :

« فمَنْ يُرِدِ اللهُ أنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإسْلَامِ ، وَمَنْ يُرِدْ أنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً » .

ومنها قوله تعالى ٥) :

« وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ (٦) . . . » إلى آخر الآية .

فإن احتجوا بقوله تعالى : « وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ(٧) »

(٨ فالجواب — أن نقول ٨) :

(٩ أراد الله تعالى بـ « العباد » : الموفقين لطاعته المخلصين لعبادته ٩) ، وهو مثل (١٠) قوله تعالى : « عيناً يشربُ بها عبادُ الله (١١) » .

---

(١) « وهى » ساقط من ب .

(٢) ب : « شاهدة » .

(٣) « و » ساقط من ب .

(٤) (من الآية ٣٥ من سورة الأنعام ٦) .

(٥ ، ٥) ساقط من ب وهى (من الآية ١٢٥ من سورة الانعام ٦) .

(٦) (من الآية ١١١ من سورة الأنعام ٦) .

(٧) (من الآية ٧ من سورة الزمر ٣٩) .

(٨ ، ٨) ب ، ش : « قلنا » .

(٩ ، ٩) ب : « أراد أن الله تعالى لا يرضى لعباده الموفقين لطاعته المخلصين لعبادته الكفر . . » وفى ش : « أراد الله بعباده المؤمنين المخلصين العبادة . . » .

(١٠) « مثل » زيادة من ب .

(١١) (الآية ٦ من سورة الانسان ٧٦) .

وإنما (١) أراد الأولياء الأتقياء من العباد ، الذين لم يرد (٢) لهم الرب الكفر – لم يكفروا .

وربما يحتجون بقوله تعالى :

« سيقولُ الذينَ أشركوا لوْ (٣ شاءَ اللهُ ما أشركنا ، ولا آباؤنا – ولا َحرّمنا منْ شيء – إلى قوله « . . حتى ذَاقوا بأسنا ٣) » .

(٤ ووجه الدليل ٤) من الآية : أن الله (٥) رد على الكفار قولهم :

(٦ « لو شاء الله ما أشركنا » ٦) .

(٧ فالجواب – أن نقول :

الله تعالى إنما رد عليهم ، لأنهم قالوا ماقالوه مستهزئين بمماراة في الحق (ورداً لحجة الله ٧) تعالى :

والدليل (٨ على ذلك – قوله تعالى ٨) في آخر الآية :

« قلْ هلْ عندَكمْ منْ علمٍ فتُخْرِجُوهُ لنا ، إنْ تتبعونَ إلا الظنَّ ، وإنْ أنتمْ إلا تخْرُصُونَ . (٩) قلْ فلله الحُجةُ البالغةُ ، فلوْ شاءَ لهدَاكمْ أجمعينَ »(١٠) .

---

(١) زيادة من ب .

(٢) ب : « يرض » .

(٣ ، ٣) ساقط من ب : وهى : (من الآية ١٤٨ من سورة الأنعام ٦) .

(٤ ، ٤) ب : « ودليلهم » .

(٥) ب : « الرب تعالى » .

(٦ ، ٦) (من الآية السابق ذكرها بالسطر ٤ بهذه الصفحة ، ووردت فى ب : « ولو شاء الله ما أشركوا » وهى من الآية ١٠٧ من سورة الأنعام ٦ » وقد أثبتنا ما ورد فى ق .

(٧ ، ٧) تتفق هذه العبارة مع نسخة ب ولكن سقط منها : « ما قالوه » ووردت فى ش هكذا : « والجواب أن الله تعالى انما رد قولهم لانهم قالوه استهزاء للحق فى الحق ورد الحجة لله » .

(٨ ، ٨) ب ، ش : « عليه » .

(٩) (من الآية ١٤٨ من سورة الأنعام ٦) .

(١٠) (الآية ١٤٩ من سورة الأنعام ٦) .

[٤ - رُؤيـــة الله]

فصل

مذهب أهل – الحق أن الباري(١) تعــالى (٢) : مرئي ، ويجوز(٣) أن يراه الراءون بالأبصار .

وذهب(٤) المعتزلة (٥ ، إلى أنه سبحانه وتعالى : يستحيل أن يرى .

وصار الأكثرون منهم إلى أن الباري تعالى ٥) : (٦ لايرى نفسه .

والدليل على جواز الرؤية عقلا ٦) : (٧ أن الرب – سبحانه وتعالى – موجود وكل موجود : مرئي ٧) .

وبيان ذلك (٨) :

أنا(٩) نرى الجواهر ، والألوان [شاهداً] (١٠)

---

(١) ب و ش : «الله» .

(٢) ساقط من ش .

(٣) ب ، ق : « يجـــوز » .

(٤) ب : « وذهبت » .

(٥ ، ٥) ساقط من ش ، وفى ب هكذا : «الى أنه يستحيل أن يرى وصــار الأكثرون منهم الى أنه لا يرى نفسه » .

(٦ ، ٦) ش : «لايرى نفسه ولايراه غيره والدليل على رؤية الله تعالى» .

(٧ ، ٧) ب : «أنه سبحانه وتعالى موجود مرئي» . وفى ش : «موجود وكل موجود مرئي» .

(٨) ساقط من ب و ش .

(٩) ش : « فانا » .

(١٠) الزيادة من ب .

فإن رئى(١) الجوهر ، لكونه جوهراً(٢) لزم ألاّ يُرَى الجوهر .

وإن رئيا لوجودهما : لزم(٣) أن يرى كل موجود .

(٤ والبارى — سبحانه وتعالى : موجود ، فصح أن يُرى(٤) .

فإن قالوا :

إنما يُرَى ، ما يُرَى لحدوثه — والرب تعالى(٥) : (٦أزلى قديم٦) الذات(٧) فلا يرى(٨) ؟

(٩ فالجواب — من وجهين :

أحدهما — أن نقول :

كلامكم هذا نقض عليكم٩) ، لجواز رؤية(١٠) الطعوم، والروائح ، والعلوم ، ونحوها(١١ ، فإنها حوادث ، وعندكم يستحيل أن ترى ١١)

(١٢ ثم الجواب الحقيقى — أن نقول ١٢) :

---

(١) كانت فى ق : « وويتى » .

(٢) زادت ب هنا : «فيلزم ألايرى اللون وان رئى اللون لكونه لونا» وفى ش «ألزم» بدلا من « فيلزم » الواردة فى عبارة ب .

(٣) ش : « وجب » .

(٤ ، ٤) ساقط من ب ، ش .

(٥) ب : « عز وجل » .

(٦ ، ٦) وردت فى ب بتقديم وتأخير هكذا «قديم أزلى» .

(٧) زيادة من ب .

(٨) ساقط من ب .

(٩ ، ٩) ب : « قيل هذا نقض عليكم » . وفى ش : « قلنا : هذا نقض عليكم » .

(١٠) ب : « الرؤية » .

(١١ ، ١١) ب : «وهى حوادث غير مرئية» . وفى ش : «وهى حادثة غير مرئية عندكم» .

(١٢ ، ١٢) ساقط من ب ، ش .

(١ [ثم] الحدوث ينبىء عن موجود ١) (٢ مسبوق بعدم ، والعدم السابق لا ٢) (٣ يصحح الرؤية ، فانحصر التصحيح فى الوجود ٣) .

فدل (٤ : [على] أن كل موجود : صح أن يرى ٤) .

(٥ ويستدل على جواز الرؤية ٥) ، وأنها (٦ ستكون فى الجنان ٦) : وعداً من الله صدقاً ، وقولا منه (٧) حقاً (٨ بقوله تعالى ٨) :

« وُجوه يومْئذ ناضِرَة إلى ربّها ناظِرَة (٩) » .

والنظر إذا عدى بـ « إلى »(١٠) اقتضى (١١ رؤية البصر ١١) .

فإن عارضونا بقوله تعالى : « لاَ تُدْرِكُهُ الأبصَارُ »(١٢) .

[قلنا :] فمن (١٣) أصحابنا من قال :

الرب — تعالى(١٤) — يُرَى ، ولا يُدْرَك ، فإن(١٥) الإدراك ينبىء

(١ ، ١) «ثم» زيادة من ب . ووردت هذه العبارة فى ب ، ش هكذا : « الحوادث تنبىء عن وجود » .

(٢ ، ٢) ساقط من ش .

(٣ ، ٣) ب : « يصح عليه الرؤية فما يحصل التصحيح على الموجود » وفى ش : « ولا يصح رؤية الحاضر فانحصر المصحح فى الوجود» .

(٤ ، ٤) « على » زيادة من ب ، ووردت هذه العبارة فى ش هكذا : « فاذن كل موجود يصح أن يرى » .

(٥ ، ٥) ش : « ويدل على وجوب الرؤية »

(٦ ، ٦) ساقط من ب ، ش .

(٧) ساقط من ب .

(٨ ، ٨) ساقط من ب : . وفى ش : « قوله » .

(٩) (آيتا ٢٢ ، ٢٣ من سورة القيامة ٧٥) .

(١٠) ش : « بحرف الى » .

(١١ ، ١١) ب : « الرؤية نصا » . وفى ش : « رؤية نصا لا يحتمل غير ذلك » .

(١٢) (من الآية ١٠٣ من سورة الأنعام ٦) .

(١٣) فى ق و ش : «فمن» .

(١٤) « الرب تعالى » ساقط من ش .

(١٥) ب : « وأن »

عن الإحاطة ، ودرك الغاية ، والرب [تعالى] (١) مقدس (٢) عن الغاية والنهاية . فإن عارضونا بقوله تعالى في جواب موسى عليه السلام : « لن ترانى » (٣) ؟

فزعموا (٤) : أن « لن » يقتضى النفى على التأبيد

قلنا :

هذه الآية (٥) من أوضح الأدلة على جواز الرؤية ، فإنها لو كانت مستحيلة ، لكان معتقد (٦) جوازها ضالا ، أو(٧) كافراً . وكيف (٨) يعتقد [١٢١ و] مالا يجوز على الله تعالى — من اصطفاه الله تعالى (٩) (١٠ لرسالته واجتباه لنبوته١٠) ، وخصصه (١١ بتكريمه ، وشرفه بتكليمه ١١) ، وجعله أفضل أهل زمانه ، وأيده ببرهانه .

ويجوز(١٢) على الأنبياء الريب فى أمر يتعلق بعلم الغيب ، (١٣ أما ما يتعلق بوصف البارى عز وعلا فلا يجوز الريب عليهم ١٣) .

(١) زيادة من ب .
(٢) ب : «متقدس» .
(٣) (من الآية ١٤٣ من سورة الأعراف ٧) .
(٤) ب : «وزعموا» .
(٥) ب : « فهى » .
(٦) ب : « معتقدها ضالا » . وفى ش : « معتقد جواز الرؤية ضالا » .
(٧) « أو » ساقط من ب .
(٨) ب : « فكيف » .
(٩) ساقط من ش .
(١٠ ، ١٠) ش : « لنبوته واختاره لرسالته » .
(١١ ، ١١) ب : « بكرامته وشرفه بتكريمه » . وفى ش : « شرفه بتكليمه » .
(١٢) ش : « فكيف يجوز » .
(١٣ ، ١٣) ساقط من ب .

فيجب حمل الآية على أن ما (١ اعتقد موسى عليه السلام جوازه ١) جائز ، لكن (٢) ظن أن ما اعتقد جوازه [يجيبه إليه] (٣) ناجزاً (٤) (٥ فيرجع النفى ٥) فى (٦ الجواب إلى السؤال ٦) .

وما سأل موسى عليه السلام(٧) [ربه] (٨) (٩ رؤية فى الدنيا ، لينصرف ٩) النفى إليها (١٠) ، والجواب نزل (١١) على قضية الخطاب .

(١ ، ١) ب : « اعتقده موسى عليه السلام » .
(٢) ب : « ولكنه » .
(٣) زيادة من ب .
(٤) ب : « ناجزا » وفى ق : « جوازه ناجز » بعد حذف (يجيبه اليه) .
(٥ ، ٥) ب : « فرجع المنع » .
(٦ ، ٦) ش : « الى الايجاب » .
(٧) « عليه السلام » ساقط من ب .
(٨) زيادة من ب .
(٩) ب ، ش : « الرؤية فى المآل فينصرف ... » .
(١٠) ش : « اليـــه » .
(١١) ب : « يجىء » . وفى ش : « يدل » .

[٥ - الرب والخلق]

فصل

الرب[١] سبحانه متفرد[٢] بخلق المخلوقات ، فلا[٣] خالق سواه ، ولامبدع غيره ، وكل حادث ، فالله تعالى[٤] محدثه .

وقالت المعتزلة :

المحدثون يخترعون[٥] أفعالهم بقدرهم[٦] ويخلقونها[٧] والرب[٨] سبحانه وتعالى[٨] غير موصوف بالاقتدار على أفعال العباد

والدليل على تفرد الرب[٩] تعالى بالخلق : قوله تعالى[١٠] :
« أفمن يخلق كمن[١١] لا يخلق أفلا تذكرون »[١١] .

[١٢] وجه الاستدلال بالآية :

أن الله تعالى تمدح[١٢] بالخلق وأثنى على نفسه [بذلك][١٣] ولو

(١) ب «البارى» .
(٢) كانت فى ق « منفرد » .
(٣) ب : « لا » وش : « ولا » .
(٤) ساقط من ب . وفى ش : « فانه » .
(٥) ش : « مخترعون » .
(٦) ب : « بقدرتها » .
(٧) ش : « خالقونها » .
(٨ ، ٨) ب : « عز وجل » . وفى ش : « تعالى » .
(٩) ش : « الرب سبحانه » .
(١٠) « قوله تعالى » ساقط من ش .
(١١ ، ١١) ساقط من ب : وهى (الآية ١٧ من سورة النحل ١٦) .
(١٢ ، ١٢) ب : « فتمدح تعالى » وفى ش : « متمدح تعالى » .
(١٣) زيادة من ب .

شاركه فيه غيره لبطلت فائدة التمدح[١]

[٢]وكذلك يستدل بقوله تعالى[٢] : « خالق كل شىء فاعبدوه »[٣]

وقوله[٤] تعالى : « قل الله خالق كل شىء وهو الواحد القهار »[٤]

ثم الدليل — من حيث العقل — على أن الرب تعالى منفرد بالإيجاد والاختراع أن[٥] الأفعال دالة[٦] على علم فاعلها . والأفعال الصادرة من[٧] العباد لايحيطون بمعظم صفاتها ولوكانوا خالقين لها لكانوا محيطين بجملة صفاتها .

فصل

العبد[٨] [غير] مجبر[٨] على أفعاله ، بل هو قادر عليها مكتسب لها .

والدليل[٩] على إثبات القدرة للعبد[٩] أن العاقل يفرق بين أن[١٠] ترتعد يده[١٠] ، وبين أن يحركها قصداً .

ومعنى كونه مكتسباً — أنه قادر على فعله — وإن لم تكن قدرته مؤثرة فى[١١] إيقاع المقدور[١١] .

وذلك بمثابة الفرق [بين ما يقع مراداً و][١٢] بين ما يقع غير مراد .
وإن كانت الإرادة[١٣] لا تؤثر[١٣] فى المراد .

(١) ب : « المدح » .
(٢ ، ٢) ب : « وقال » . وساقط من ش .
(٣) ب و ش : « الله خالق كل شىء » (من الآية ١٠٢ من سورة الأنعام ٦) .
(٤ ، ٤) ساقط من ب و ش (من الآية ١٦ من سورة الرعد ١٣) .
(٥) ب : « ثم » . ش : « و » .
(٦) ب : « دليلة » .
(٧) ب و ش : « عن » .
(٨) كانت فى ق : « مختر » ولفظ « غير » زيادة ليستقيم النص .
(٩ ، ٩) ب : « عليه » . و ش : « عليها » .
(١٠ ، ١٠) ش : « يحرك يده ضرورة » .
(١١ ، ١١) ش : « ايقاعه » .
(١٢) الزيادة من ش و ب .
(١٣ ، ١٣) ب : « غير مؤثرة » .

فصل

لا يجب على الله تعالى شيء ، وما أنعم به[1] فهو فضل منه ، وما عاقب به : فهو عدل منه[2] ، ويجب على العبد ما يوجبه الله تعالى عليه [3] ولا يستفاد — بمجرد العقول[4] — وجوب شيء ، بل جميع الأحكام المتعلقة بالتكليف : متلقاة من قضية الشرع ، وموجب السمع .

والدليل على أنه لا يجب على الله شيء : أن حقيقة الواجب : ما يستوجب[5] اللوم بتركه ، والرب — [6] سبحانه وتعالى [6] — يتعالى [7] عن التعرض [8] لذلك .

والذى يوضح ذلك :

أن طاعات المكلفين تجب — عند المعتزلة — شكراً لله [تعالى على] [9] ما أولاه من آلائه .

فإن كانت [10] الطاعات واجبة [10] — عوضاً من النعم [11] : — يستحيل[12] أن يستحق مؤدى الواجب : ثواباً .

ولو جاز أن يستحق العبد على أداء الواجب[13] عوضاً ، لجاز أن يستحق الرب على الثواب : شكراً — وإن كان مستحقاً [14] .

---

(1) «به» زيادة من ب .
(2) « منه » ساقط من ب .
(3) « عليه » ساقط من ش .
(4) ب : « العقل » .
(5) ب : « يستحق » .
(6 ، 6) ساقط من ش . وفى ب : « تعالى » .
(7) ش : « متعالى » ، ب : « يتنزه » .
(8) ق : « النقص » .
(9) الزيادة من ب ، ش .
(10) ساقط من ش .
(11) ش : « عوض للنعم » .
(12) ب : « فيستحيل » .
(13) ب : « واجب عليه » بدلا من « الواجب »
(14) ساقط من ش .

فصل

[القول فى إثبات النبوات] [1]

لله تعالى [2] — أن يرسل الرسل ، ويبعث الأنبياء مبشرين ومنذرين .

وأنكرت البراهمة : النبوة . ومنعوا جواز انبعاث الرسل . وقالوا : إن جاءت الرسل بما يدرك عقلا ، لم يكن فى إرسالهم فائدة ، وكان فى قضايا العقل[3] مندوحة[4] عن غيرها[4] .

[5] وإن جاءت الرسل بما لايدرك عقلا [5] : فلا يقبل ما يخالف العقل .

[6] قلنا :

الشرع يرشد إلى ما [6] لا يستدرك بمحض العقول ، ولايرد بما يقضى العقل بخلافه ؛ وإذا لم يكن فى إرسال الرسل استحالة ، أو خروج[7] عن الحقيقة [8] ، فيجب[9] الحكم بجوازه .

---

(1) الزيادة من ب ، ش .
(2) « تعالى » ساقط من : ب .
(3) ش و ب : « العقول » .
(4 ، 4) ش : « عنهم » .
(5 ، 5) ش ب و : « وان كان ما جاءت به الرسل غير مدرك بالعقل » .
(6 ، 6) ش : « وقال ان الرب انما يرسل لما » .
(7) ش و ب ، « وخروج » .
(8) ب : « حقيقة » .
(9) ش : « وجب » .

[٦ - الرسالة والنبوة والمعجزة]

فصـــل

إنما يثبت صدق مدعى النبوة — بالمعجزات :

وهى أفعال الله تعالى الخارقة للعادة [١٢١ ظ] المستمرة [١] وظاهرها [٢] — على حسب[٣] دعوى النبوة [٣] : هو[٤] تحديه ويعجز عن الإتيان بأمثالها . الذين يتحداهم النبي — ووجه دلالتها على صدق النبي :

أنها تُنزّل منزلة التصديق بالقول . ونظيرها فى[٥] الشاهد :

أن يتصدى ملك للناس ، ويأذن لهم بالولوج [٦] عليه فلما [٧] احتفوا به ، وأخذ كل مجلسه[٨] — قام لأهل الجمع قائم[٩] وقال :

يا أيها الملأ[١٠] ، إنى [١١] رسول الله إليكم ، وقد ادعيت الرسالة بمرأى منه ومسمع . وآية الرسالة [١٢] ، أن الملك يخالف عادته ، ويقوم ، ويقعد ، إذا استدعيته[١٣] .

---

(١) ساقط من ش .

(٢) ش : « ظاهرة » ب : « الظاهرة » .

(٣ ، ٣) ش : « النبوة » .

(٤) ب : « و » بدلا من « هو » .

(٥) ش : « ونظيره من » ، ب « ونظرها » .

(٦) ب : « فى الولوج » .

(٧) ش : « فاذا » .

(٨) ب : « كل واحد منهم منجلسه » .

(٩) ش : « رجل من أهل الجمع » ، ب : « قام قائم من أهل الجمع » .

(١٠) ساقط من ش و ب .

(١١) ب : « أنا » .

(١٢) ش : « رسالتى » ، ب : « كونى رسولا اليكم » .

(١٣) ش : « استدعيت منه ذلك » .

ثم يقول [١] :

يأيها الملك [٢] ، صدقنى وقم ، واقعد — فإذا فعل الملك ما استدعاه منه : كان[٣] ذلك تصديقاً [٤] نازلا منزلة[٥] قوله : صدقت .

فصل

الدليل على ثبوت[٦] نبوة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام[٧] : المعجزات .

ومن[٨] آياته : القرآن — وفيه وجوه من الإعجاز منها: ما اختص به من الجزالة ، والنظم الخارج عن جميع أساليب [أوزان][٩] كلام العرب .

وتحدى العرب بأن يعارضوا [١٠] سورة [منه] [١١] وذكر : أنهم لو عارضوها [١١] — لبطلت دعواه ، وانكفّ عن التعرض لهم — فحاولوا[١٢] معارضته — [١٣] وهم الله البلغاء ، واللسن الفصحاء — فى نيف[١٤] وعشرين سنة : فلم[١٥] يتأت لهم معارضة [١٣] .

---

(١) ب : « فيقول » .

(٢) ساقط من ش .

(٣) زيادة من ب .

(٤) « تصديقا » ساقط من : ب .

(٥) ش : « بمنزلة » .

(٦) ش : « أن » .

(٧) ب : « صلى الله عليه » .

(٨) ش و ب « فمن » .

(٩) الزيادة من ب .

(١٠) ق ، ب « يعارضوه » .

(١١ ، ١١) ش : « ولو أنهم عارضوه » و ب : « أنهم لو عارضوها » .

(١٢) ش : « وحاولوا » .

(١٣ ، ١٣) جاءت العبـــارة فى ش و ب مع تقـديم وتأخير : هكذا : « فى عشرين سنة — فلم يتأت لهم معارضة — وهم اللد البلغاء ، واللسن الفصحاء » .

(١٤) ش ، ب : « نيفا » . (١٥) ش : « لم » .

من وجوه الإعجاز [1] اشتمال القرآن[2] على قصص الأولين ، مع القطع بأن النبي عليه السلام كان أُمِّيًّا — لا يقرأ ولا يكتب — ولم يعهد فى جميع زمانه متعاطياً لدراسة كتب الأولين وتعلمها . ولم يسبق [3] له نهضة يتوقع فى مثلها دراسة الكتب .

ثم اشتمل القرآن على غيوب متعلقة بالمستقبل ، (كما اتفق إنباء القرآن عنها [4] .

فصل [5]

ولرسول الله (عليه السلام [6]) : [آيات و] [5] معجزات سوى القرآن :

كانفلاق القمر ، وتسبيح الحصى ، وإنطاق العجماء ، ونبع [7] الماء من بين الأصابع [8] ونحوها [9] .

فصل

كل ما جوزه العقل ، وورد به الشرع [10] وجب القضاء بثبوته ، فما [11] ورد الشرع به :

عذاب القبر ، وسؤال منكر ونكير ، وردّ الروح إلى الميت فى قبره .

---

(١) ش : « اعجاز القرآن » ، وفى ب : « الاعجاز فى القرآن » .
(٢) ش و ب : « اشتماله » .
(٣) كانت فى ق : « ولم يبق » .
(٤) فى ب : « واتفقت كما أنبأ عنها القرآن » .
(٥) زيادة من ش .
(٦) ب : « صلى الله عليه وسلم » .
(٧) ب : « ونبوع » .
(٨) ب : « اصابعه » .
(٩) ش : « وغيرها » .
(١٠) ب : « الشرع به » .
(١١) ب : « ومما » .

ومنها :

الصراط ، والميزان ، والحوض ، والشفاعة للمذنبين ، كل ذلك : حق. والجنّة ، والنار مخلوقتان — فى وقتنا [1] — قال الله تعالى [2] : « وَجَنَّة عرْضُها السَّموَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدّتْ للمتقينَ » [3]

---

(١) ساقط من ش .
(٢) ش : « عز وجل » .
(٣) (من الآية ١٣٣ من سورة آل عمران ٣) .

[٧ - الإمـــامة]

فصـــل

(١ إمامة المسلمين ١)

(٢ وأمير المؤمنين — من ٢) بعد رسول الله (٣ عليه الصلاة والسلام ٣) : أبو بكر الصديق [رضى الله عنه] (٤).

ثم [عمر] (٥) الفاروق — بعده . ثم عثمان (٦) . ثم على (٧) . رضى الله عنهم [أجمعين] (٨) .

ومانصّ (٩ النبي عليه السلام ٩) على إمامة (١٠ أحد بعده ، وتوليته ١٠) إذ لو نص على ذلك (١١) ، لظهر وانتشر [كما اشتهرت تولية رسول الله صلى الله عليه وسلم سائر ولاته و] (٤) كما اشتهر كل أمر خطير (١٢) .

(١ ، ١) ساقط من ب • وفى ش «امام المسلمين» •
(٢ ، ٢) ساقط من ب ، ش •
(٣ ، ٣) ب : «صلى الله عليه» •
(٤) زيادة من ب •
(٥) الزيادة من ب • وفى ش : « ثم الامام بن عمر » وهو خطأ •
(٦) ش : «ثم الامام بعده» •
(٧) ش : «ثم الامام» •
(٨) الزيادة من ب ، ش .
(٩ ، ٩) ب : «رسول الله صلى الله» •
(١٠ ، ١٠) ورد فى ب هكذا : «امامة على وتوليته بعده» •
(١١) «على ذلك» ساقط فى ش •
(١٢) ب ، ش : « عظيم خطره » بدلا من « أمر خطير » .

وإذا ثبت(١) أن الإمامة لم تثبت نصًّا لأحـــد(٢) ، دل أنها ثبتت اختياراً(٣) .

ثم المســـلمون(٤) أجمعوا على إمامة أبي بكر [رضى الله عنه] (٥) وانقادوا — بأجمعهم — له [من غير مخالفة] (٥) .
وكذلك (٦) جرى الأمر فى زمن عمر ، وعثمان ، وعلى ، رضى الله عنهم .

ومعاوية — وإن قاتل عليًّا — فإنه كان لاينكر إمامته ، ولا يدعيها لنفسه ، وإنما كان يطلب قتلة عثمان [رضى الله عنه] (٥) ظانًّا أنه مصيب ، وكان مخطئاً ؛ وعلى — رضى الله عنهم (٧) وعنـــه — ١٢٢،] متمســـك بالحق(٨) .

فصل

الخلفاء [الراشـــدون] (٩) لما (١٠) ترتبوا فى الإمامة (١١) ، فالظاهر ترتيبهم فى الفضيلة :

فخير(١٢) الناس — بعد رسول الله [صلى الله عليه] (٩) : أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم على ، رضى الله عنهم أجمعين(١٣) ، إذ المسلمون كانوا

(١) ب : « فاذا ثبت » وفى ش : « واذا تبين » .
(٢) « لأحد » ساقط من ش .
(٣) ش : « على اثبات الامامة اجتهادا » .
(٤) ب : « غير أن المسلمين » .
(٥) الزيادة من ب و ش .
(٦) ش : « وكذا » .
(٧) « عنهم و » ساقط من ب و ش •
(٨) ب : « بالحق متمسك » .
(٩) الزيادة من ب .
(١٠) ب ، ش : « كما » .
(١١) ش : « الخلافة » .
(١٢) ش : « وخـــير » .
(١٣) « أجمعين » ساقط من ش .

لايقدمون للإمامة [1] أحداً تشهياً منهم ، وإنما (قدموا من قدموه) [2] ، لاعتقادهم كونه [3] أفضل وأصلح للإمامة من غيره .

فصـــل

لا يصلح للإمامة إلا من تجتمع فيه شرائط :

أحدها — أن يكون : قرشياً ، فإن رسول الله عليه السلام [4] قال : « الأئمة من قريش » .

والآخر — أن يكون [مجتهداً — من أهل الفتوى — [5] وأن يكون :] ذا نجدة ، وكفاية ، وتهد لسياسة الأمور وإيالتها [6] .

[وأن] [5] يكون حُرًّا ، ورعاً فى دينه .

وكل [7] هذه الشرائط كانت موجودة فى خلفاء رسول الله عليه السلام (٤).

وقد قال عليه السلام [8] :

« سنة الخلافة بعدى ثلاثون سنة ، ثم تصير ملكاً عضوضاً » .

وكانت أيام الخلفاء هذا القدر ،

والله الهادى [9] .

---

(١) « للامامة » ساقط من ب .

(٢) ش : « قدموه » .

(٣) ب و ش : « أنه » .

(٤) ب : « صلى الله عليه » .

(٥) الزيادة من ب .

(٦) ورد فى ب هكذا « وتهد الى سياسة متهديا الى رياسة الأمور » وفى ش « ويهتدى لسياسة الأمور وايالتها » .

(٧) « كل » ساقط من ب .

(٨) ساقط من ش . (٩) ساقط من ب ، ش .

تم — كتاب اللمع فى الكلام — بحمد الله وحسن توفيقه على [يد] العبد الضعيف الفقير إلى عفو الله تعالى محمد بن سليمان بن يوسف الشافعى غفر الله له، ولمن قرأ فيه ودعا له بالمغفرة والرضوان (*) .

(*) جاء بنهاية نسخة ب ما يأتى :

« نجز هذا الكتاب — وهو اللمع — من تصنيف **الامام امام الحرمين أبى المعالى عبد الملك** ابن عبد الله الجوينى طيب الله تربته — فرغ من نسخه ليلة الأحد الثالث والعشرين من شهر ربيع الأول من سنة (٥٤٧ هـ) سبع وأربعين وخمسمائة والحمد لله ... والصلاة على محمد خاتم أنبيائه حسبنا الله ونعم الوكيل » .

اصطلاحات الرموز الواردة بالهوامش أثناء التحقيق

ق = (نسخة القاهرة) نسخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية بالقاهرة

ب = (نسخة برلين) نسخة مصورة عن أصلها المخطوط المحفوظ بمكتبة (توبنجن) بألمانية

ش = (شرح اللمع) نسخة مصورة عن أصلها المخطوط لشرح التلمسانى للمع الأدلة المحفوظ بمكتبة الأسكوريال بأسبانية

(انظر التفاصيل بصفحة ٦٢ بداخل الكتاب)

لمـع الأدلة فى قواعد عقائد أهل السنة والجماعة

لإمام الحرمين أبو المعالى الجوينى

ثبت

المصادر والمراجع

العربيـــة والأجنبيـــة

أولا — المصادر والمراجع العربية :

(أ)

١ — الإبانة فى أصول الديانة — طبعة القاهرة — لأبى الحسن الأشعرى .

٢ — إبراهيم النظام — طبعة القاهرة — للدكتور محمد عبد الهادى أبو ريدة .

٣ — آثار البلاد وأخبار العباد — للقزوينى .

٤ — أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم — طبعة ليدن سنة ١٨٧٧ م . للبشارى المقدسى .

٥ — أخبار الدول وآثار الأول للقرمانى بهامش كتاب الكامل لابن الأثير . طبعة القاهرة .

٦ — إخبار العلماء بأخبار الحكماء — طبعة القاهرة — للقفطى .

٧ — الأخلاق عند الغزالى — طبعة القاهرة للدكتور زكى مبارك .

٨ — الإرشاد إلى قواطع الأدلة فى أصول الاعتقاد — طبعة القاهرة ١٩٥٠ م لإمام الحرمين أبى المعالى عبد الملك الجوينى — بتحقيق الدكتور محمد يوسف موسى ، والسيد عبد المنعم عبد الحميد .

٩ — الأعلام — طبعة القاهرة سنة ١٩٢٧ م — للزركلى

١٠— الانتصار والرد على ابن الراوندى الملحد — طبعة القاهرة سنة ١٩٢٥ م . للخياط .

١١— الأنساب — طبع زنكغراف بالحجر على أصله المخطوط — طبعة مدينة ليدن سنة ١٩١٢ م — للسمعانى .

(ب)

١٢— البداية والنهاية — طبعة القاهرة سنة ١٩٣٢ م — لابن كثير .

١٣— البرهان فى أصول الفقه — مخطوطة بدار الكتب المصرية بالقاهرة برقم

٧١٤ أصول الفقه . وبمكتبة الأزهر الشريف أيضاً برقم ٩١٣ أصول الفقه لإمام الحرمين أبي المعالى عبد الملك الجوينى .

(ت)

١٤ــ تاج العروس من جواهر القاموس ــ طبعة القاهرة ــ للزبيدى .

١٥ــ تاريخ الإسلام ــ مطبعة القدسى سنة ١٣٦٧ هـ ــ للذهبى .

١٦ــ تاريخ التمدن الإسلامى ــ طبع القاهرة ــ لجرجى زيدان .

١٧ــ تاريخ حكماء الإسلام ــ مخطوطة برقم ٣٦٦ تاريخ ــ بدار الكتب المصرية بالقاهرة ومطبوع بعنوان تتمة : صوان الحكمة ــ تحقيق الأستاذ محمد شفيع ــ طبعة لاهور بالهند سنة ١٣٥٠ هـ ــ للبيهقى

١٨ــ تاريخ الفلسفة اليونانية ــ طبعة القاهرة ــ للدكتور يوسف كرم .

١٩ــ تأويل مشكل القرآن ــ طبعة القاهرة سنة ١٩٥٤ م ــ لابن قتيبة . بشرح وتحقيق الأستاذ سيد أحمد صقر .

٢٠ــ تبيين كذب المفترى ــ طبعة دمشق سنة ١٣٤٧ هـ ــ لابن عساكر .

٢١ــ تحصيل السعادة ــ طبعة القاهرة ــ لابن سينا .

٢٢ــ تسع رسائل فى الحكمة والطبيعيات ــ طبعة القاهرة سنة ١٩٢٨ م ــ لابن سينا .

٢٣ــ التعريفات ــ للجرجانى .

٢٤ــ تفصيل آيات القرآن الحكيم ــ طبعة القاهرة سنة ١٩٢٥ م ــ لجول لابوم .
نقله إلى العربية السيد محمد فؤاد عبد الباقى .

٢٥ــ التمهيد فى الرد على الملحدة المعطلة والقرامطة والخوارج والمعتزلة ــ طبعة القاهرة سنة ١٩٤٧ م ــ للباقلانى .
بتحقيق الدكتور محمد عبد الهادى أبو ريدة ، والدكتور محمود محمد

الخضيرى وقد طبع هذا المصنف مرة ثانية فى بيروت طبعة كاملة وقام بتحقيقها الأب مكارثى اليسوعى .

(ج)

٢٦ــ الجامع لأحكام القرآن ــ طبعة القاهرة ــ للقرطبى .

٢٧ــ الجبال والأمكنة والمياه ــ طبعة مدينة ليدن سنة ١٨٥٥ م للزمخشرى .

٢٨ــ جلاء العينين فى محاكمة الأحمدين ــ طبعة القاهرة ــ لنعمان خير الدين ابن محمود الألوسى .

٢٩ــ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ــ طبعة القاهرة ــ لابن تيمية.

٣٠ــ الجوينى إمام الحرمين : (سلسلة أعلام العرب رقم ٤٠) التى تقوم باصدارها وزارة الثقافة والإرشاد القومى بالقاهرة ــ للدكتورة فوقية حسين محمود .

(ح)

٣١ــ الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى ــ لآدم متيث .
ترجمة الدكتور محمد عبد الهادى أبو ريدة . طبع القاهرة .

٣٢ــ الحكاية السلجوقية ــ لليزدى .

٣٣ــ الحياة الروحية فى الإسلام ــ طبعة القاهرة ــ للدكتور محمد مصطفى حلمى .

(خ)

٣٤ــ الخطط التوفيقية الجديدة ــ طبعة القاهرة سنة ١٣٠٦ هـ ــ لعلى باشا مبارك .

(د)

٣٥ــ دائرة المعارف الإسلامية ــ طبعة القاهرة .

٣٦ــ دائرة المعارف للبستانى ــ طبعة بيروت .

٣٧- دائرة المعارف لفريد وجدى - طبعة القاهرة .

٣٨- دمية القصر وعصرة أهل العصر - طبعة حلب للباخرزى .

٣٩- الديباج المذهب فى معرفة أعيان علماء المذهب - طبعة القاهرة سنة ١٣٥١ هـ - لابن فرحون .

(ر)

٤٠- رحلة ابن رشيد الأندلسى - مصور فوتوغرافى برقم ٢٣٧٦ ط بدار الكتب المصرية بالقاهرة للحافظ ابن رشيد الأندلسى .

٤١- الرسالة القشيرية - طبعة القاهرة ١٣٤٦ هـ . للقشيرى .

٤٢- روضات الجنات - طبعة طهران للخوانسارى .

٤٣- سلسلة أعلام العرب رقم ٤٠ (الجوينى إمام الحرمين) التى تصدرها وزارة الثقافة والإرشاد القومى بالقاهرة للدكتورة فوقية حسين محمود .

(س)

٤٤- سير أعلام النبلاء - (ج ١، ٢، ٣) طبعة دار المعارف بالقاهرة سنة ١٩٥٥م - للذهبى .

(ش)

٤٥- الشامل فى أصول الدين - صورة فوتوغرافية بدار الكتب المصرية - وقد طبع جزء منه بالقاهرة باشراف المستشرق الألمانى كلوبفر . لإمام الحرمين أبى المعالى عبد الملك الجوينى .

٤٦- شذرات الذهب فى أخبار من ذهب - مكتبة القدسى بالقاهرة سنة ١٣٥٠ هـ - لابن العماد الحنبلى .

٤٧- شفاء الغليل فى بيان ما وقع فى التوراة والإنجيل من التبديل - نسخة مصورة بمعهد إحياء المخطوطات القديمة بجامعة الدول العربية برقم ١٥٩ فيلم - لإمام الحرمين أبى المعالى عبد الملك الجوينى .

(ص)

٤٨- صون الكلام - طبعة القاهرة - للسيوطى .
نشره الدكتور على سامى النشار .

(ض)

٤٩- ضحى الإسلام - طبعة القاهرة - لأحمد أمين .

(ط)

٥٠- طبقات الشافعية الكبرى - طبعة القاهرة سنة ١٣٢٤ هـ - لابن السبكى .

(ظ)

٥١- ظهر الإسلام - طبعة القاهرة - لأحمد أمين .

(ع)

٥٢- العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر - طبعة القاهرة سنة ١٩٠٤م - لابن خلدون.

٥٣- العقيدة والشريعة فى الإسلام - طبعة القاهرة - لجولد زيهر المجرى .

ترجمة الدكتور محمد يوسف موسى وزميلاه : الدكتور على حسن عبد القادر - الأستاذ عبد العزيز عبد الخالق .

وقد علق على هذا المصنف الشيخ محمد الغزالى ونشر تعليقه فى (سلسلة الثقافة الإسلامية - بالعدد الخامس عشر) التى يصدرها الأستاذ محمد عبد الله السمان بالقاهرة .

٥٤- العقيدة النظامية - طبعة القاهرة لإمام الحرمين أبى المعالى عبد الملك الجوينى بتحقيق الشيخ محمد زاهد الكوثرى .

(غ)

٥٥– غياث الأمم فى التياث الظلم – مخطوطة بدار الكتب المصرية (برقم ٨ اجتماع تيمور) لإمام الحرمين أبى المعالى عبد الملك الجوينى .

(ف)

٥٦– فجر الإسلام – طبعة القاهرة – لأحمد أمين .

٥٧– الفصل فى الملل والنحل – طبعة القاهرة – لابن حزم الأندلسى .

٥٨– الفهرست – طبعة ليبسك سنة ١٨٧١ م – لابن النديم .

٥٩– فهرس معهد إحياء المخطوطات القديمة بجامعة الدول العربية – طبعة القاهرة سنة ١٩٥٤ م .

٦٠– الفيلسوف المفترى عليه ابن رشد الأندلسى – طبعة القاهرة للدكتور محمود قاسم .

(ق)

٦١– القرآن الكريم – طبع الديار المصرية بإشراف شيخ المقارئ المصرية بالجمهورية العربية المتحدة .

(ك)

٦٢– الكافية فى الجدل – نسخة مصورة عن نسخة مكتبة الأزهر الشريف المخطوطة وتوجد بمعهد إحياء المخطوطات القديمة بجامعة الدول العربية بالقاهرة برقم (٨٤) ١٠٦٣٣ أدب البحث لإمام الحرمين أبى المعالى عبد الملك الجوينى .

٦٢– الكامل فى اختصار الشامل – مخطوطة برقم ١٨٨ بمعهد إحياء المخطوطات القديمة بجامعة الدول العربية – لابن الأمير .

٦٤– الكامل فى التاريخ – طبعة مدينة ليدن للشيخ العلامة عز الدين أبى الحسن

على بن أبى الكرم بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى المعروف بابن الأثير .

٦٥– الكتاب المقدس – العهد القديم والعهد الجديد (التوراة والإنجيل) .

٦٦– كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون – طبعة الآستانة لحاجى خليفة .

٦٧– الكليات – لأبى البقاء .

(ل)

٦٨– لسان العرب – المطبعة الأميرية ببولاق بالقاهرة سنة ١٣٠٥ هـ – لابن منظور الإفريقى .

٦٩– اللمع – طبعة القاهرة – لأبى الحسن الأشعرى .

(م)

٧٠– المجتهدين – مخطوطة بمعهد إحياء المخطوطات القديمة بجامعة الدول العربية بالقاهرة برقم ٢/١٢٣٧ فيلم . لإمام الحرمين أبى المعالى عبدالملك الجوينى .

٧١– محيط المحيط – طبعة بيروت – للمعلم بطرس البستانى .

٧٢– مختصر جامع بيان العلم وفضله – لابن عبد البر – طبعة القاهرة – للمحمصانى .

٧٣– المختصر فى أخبار البشر – المطبعة الحسينية المصرية بالقاهرة سنة ١٣٤٥ هـ لأبى الفدا .

٧٤– المدارك فى ترتيب المسالك لمعرفة أعلام مذهب الإمام مالك – مخطوطة بدار الكتب المصرية . لأبى الفضل القاضى عياض بن موسى اليحصبى .

٧٥– مذهب الذرة عند المسلمين وعلاقته بمذاهب اليونان والهنود – للدكتور بنيس . – ترجمة الدكتور محمد عبد الهادى أبو ريدة سنة ١٩٤٦ م .

٧٦– مروج الذهب ومعادن الجوهر – طبعة القاهرة سنة ١٣٤٦ هـ للمسعودى .

٧٧ـ مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار ــ مصور فوتوغرافى بدار الكتب المصرية بالقاهرة برقم ٥٥٩ معارف عامة ــ وهو من ٢٧ جزءاً ولم يطبع منه إلا جزء واحد ــ لابن فضل الله العمرى .

٧٨ ــ مسالك الممالك ــ طبعة ليدن سنة ١٩٢٧ م . للإصطخرى .

٧٩ ــ المسالك والممالك ــ طبعة ليدن سنة ١٣٠٦ هـ . لابن خرداذبة .

٨٠ ــ معجم البلدان ــ طبع القاهرة ــ لياقوت .

٨١ ــ معجم ما استعجم ــ طبعة القاهرة سنة ١٩٤٥ م ــ للبكرى .

٨٢ ــ معيار العلم ــ طبعة القاهرة سنة ١٣٢٩ هـ ــ للغزالى .

٨٣ ــ مفيد العلوم ومبيد الهموم ــ طبعة القاهرة سنة ١٣٢٨ هـ للخوارزمى .

٨٤ ــ مقالات الإسلاميين ــ طبعة القاهرة . لأبى الحسن الأشعرى .

٨٥ ــ المقدمة ــ طبعة القاهرة . لابن خلدون .

٨٦ ــ الملل والنحل ــ طبعة القاهرة . للشهرستانى .

٨٧ ــ مناظرة فى الاجتهاد فى القبلة ــ وردت فى كتاب طبقات الشافعية الكبرى للسبكى جـ ٣ ص ٢٧٥ ــ طبع القاهرة . لإمام الحرمين أبى المعالى عبد الملك الجوينى .

٨٨ ــ مناهج الأدلة فى عقائد أهل الملة ــ طبعة القاهرة . لابن رشد الأندلسى تقديم وتحقيق الدكتور محمود قاسم .

٨٩ ــ المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ــ الطبعة الأولى ــ حيدر آباد بالهند سنة ١٣٥٩ هـ . لابن الجوزى .

٩٠ ــ منهاج السنة النبوية ــ طبعة القاهرة ــ جـ ١ ، ٢ : لابن تيمية : بتحقيق الدكتور محمد رشاد سالم .

٩١ ــ ميزان العمل : للغزالى طبع القاهرة .

(ن)

٩٢ ــ ناصر خسرو ــ طبعة القاهرة .
نقله إلى العربية الدكتور يحيى الخشاب سنة ١٩٤٥ م .

٩٣ ــ نزهة الأرواح ــ مصور فوتوغرافى بالمكتبة العامة بجامعة القاهرة . للشهرزورى .

٩٤ ــ نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام ــ القاهرة ــ الطبعة الثالثة للدسور على سامى النشار .

٩٥ ــ نهاية المطلب فى دراية المذهب . مخطوطة بدار الكتب المصرية من عدة نسخ . أحدها (وهى التى تتوفر فيها الأجزاء الأولى لهذا المصنف برقم ٣٠٠) لإمام الحرمين أبى المعالى عبد الملك الجوينى .

(و)

٩٦ ــ الورقات ــ طبعة القاهرة . لإمام الحرمين أبى المعالى عبد الملك الجوينى

(ى)

٩٧ ــ اليواقيت والجواهر فى بيان عقائد الأكابر ــ طبعة القاهرة سنة ١٣٥١هـ للشعرانى .

ثانيا ـ المصادر والمراجع الأجنبية :

1. The Authenticity of the works attributed to al-Ghazali, in J.R.A.S. april 1952 : by Watt, W. Montgomery.
2. A Commentary on the Creed of Islam. New-York, 1950. by Elder.
3. The conception of the University in early Islam. M.W. 17 (1927) - by Elder.
4. The condemnation of the sources of Banu Qurayzah. A study in the Sources of the Sirah. M.W. 42 (1932) by. Watt. W. Montgomery.
5. Continuous recreation and atomic time in Muslim scholastic theology. Isis. G. (1927), also in M.W. 18. (1928). by Macdonald.
6. Critical History of Greek philosophy-London, 1941. by stage.
7. Das Dogmâ Des Imam al-Haramain. al-Djuwaini und sein werk, al. Aqidat an - Nizamiyya. Cairo 1958. by Klopfer Helmut.
8. Dictionnaire des sciences philosophiques - by Frank.
9. Encyclopeadia of Islam. Leyden. 1913.
10. Encyclopeadia of Religions and Ethics, Edinburgh 1908.
11. Encyclopeadia, The Universal Jewish.
12. The Faith and practice of al-Ghazali London 1953. by : Watt, W. Montgomery.
13. Foreign Influences on Muslim theology. B.S.O.A.S., 10. (1940 - 42). by Tritton, A.S.
14. A Forgery in al-Gazali's Mishkat. in J.R.A.S. April 1949. by Watt, W. Montgomery.
15. Free will and Predistination in early Islam, London 1948. by: Watt, W. Montgomery.
16. Galen on Jews and Christians, London. 1949. by Walzer, R.

17. Geschichte der arabischen Literatur, 5 Vols, Leiden, 1937 - 49 - by Brockelmann.
18. A History of philosophy. Vol. I, Norwich, 1946, by Copleston, F.
19. History of philosophy Eastern and Western. London 1953. Radhakrishnam.
20. The history of philosophy in Islam. London 1933. by: De Boer, T.J.
21. Introduction à l'ètude de la philosophie musulmane. Paris 1928. Par Leon, Gautier.
22. Introduction à la theologie musulmane. Paris 1948 Par. Anawati, M.M. Paris 1948. et Gardet, L.
23. Islam and christian theology Part I. Vol. I. London 1945. Vol. II. London 1947. by Sweetman.
24. Islamic philosophy, in History of philosophy Eastern and Western, by Walzer, R.
25. Literary History of the Arabs, Cambridge 1930. by Nicholson
26. Literary History of Persia. London 1906. by Browne, E.G.
27. Muslim theology. London 1941. by Tritton, A.S.
28. The Nature and Arguments of Faith I,Q.2 1955 by Schoun, F.
29. La Notion de la certitude selon Ghazali Beyrouth 1958. Par Gabre, F.
30. La Notion du Muhdath dans le Kalam et dans la philosophie orientale. Succana 1954 by Lewin, B.
31. An Outline of the History of scholastic theology in Islam. M.W. 15 (1925). by Macdonald.
32. La Place du Kalam dans L'organisation du savoir 1944. by Anawati, M.M.
33. The Reality of God-London 1957. by Watt, W. Montgomery.
34. The Reconstruction of Religious thought in Islam. Oxford 1934. by Ikbal.

35. Religious Attitude and life in Islam. Chicago 1909. by Macdonald.

36. Shorter encyclopeadia of Islam. Leiden 1953. by Gibb and Kramer.

37. Some Muslim discussions of anthropomorphism. by Watt, W. Montgomery.

38. Theory of Knowledge in early Muslim Theology. by Tritton, A.S.

39. Vocabulaire technique et critique de la philosophie Paris 1928 1932. Par Lalande.

كتب ومقالات أخرى للمؤلفة :

أولا : الكتب

١ – « غاية الإنسان » للفيلسوف الألمانى فيشته دراسة وترجمة – طبع القاهرة سنة ١٩٦٣ م .

٢ – « الجوينى إمام الحرمين » :
نشر بسلسلة «أعلام العرب» التى تصدرها وزارة الثقافة بالجمهورية العربية المتحدة (بالعدد رقم ٤٠ الصادر فى شهر أبريل سنة ١٩٦٥م بالقاهرة) .

٣ – « لمع الأدلة فى قواعد عقائد أهل السنة والجماعة» لعبدالملك الجوينى إمام الحرمين أبو المعالى .
تقديم وتحقيق (وهو هذا الكتاب الذى بين يدى القارئ) .

ثانيا : المقالات :

أ – باللغة العربية :

١ – « كتاب الإرشاد للجوينى » : مقالة
(نشرت فى « تراث الإنسانية » – تصدرها وزارة الثقافة والإرشاد القومى بالجمهورية العربية المتحدة – بالمجلد الأول ص٤٧١–٤٨٩ طبع القاهرة سنة ١٩٦٣ م) .

٢ – « دور المفكرين العرب والمسلمين فى التفكير الفلسفى : » مقالة
(نشرت فى « الرسالة » – تصدرها وزارة الثقافة والإرشاد القومى بالجمهورية العربية المتحدة – بالأعداد : ١٠٥٧ ، ١٠٦٣ ، ١٠٦٤ – بالقاهرة سنة ١٩٦٤ م) .

٣ – « تنظيم النسل » : مقالة
(نشرت فى « النشرة الثقافية » التى تصدرها إدارة التدريب المهنى

والكفاية الإنتاجية بشركة مصر للغزل والنسيج «ج.ع.م.» — بالمحلة الكبرى — السنة الثامنة — بالعدد ١١ نوفمبر ١٩٦٤ م) .

ب — باللغة الفرنسية : وردت بالنسخة الفرنسية لمجلة « منبر الإسلام Mimbar al-Islam » (التى يصـــدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة) .

٤ — « الجوينى إمام الحرمين » (بالعددين ١ ، ٢ يناير وابريل سنة ١٩٦٢ م بالمجلد الأول منها) :

"Al-Juwaini - Imam al- Haramayn"
Vol. I. no. 1 , 2 Jan., et Avril. 1962

٥ — « العرب قبل الإسلام » (بالعدد ٢ أكتوبر سنة ١٩٦٢ م بالمجلد الثانى منها) :

"Les Arabes de l'Epoque Preislamique"
Vol. II no 2 oct. 1962.

ج — باللغة الإنجليزية : (وردت بالنسخة الإنجليزية لمجلة « منبر الإسلام » Mimbar al-Islam التى يصـــدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة) :

٦ — « سيرة الجوينى » (بالعدد ٢ لشهر نوفمبر سنة ١٩٦١ م بالمجلد الأول منها) :

"al-Juwayni's Life" Vol I no 2. Nov. 1961.

٧ — « فلسفة الجوينى » (بالعدد ١ لشهر يناير سنة ١٩٦٢ م بالمجلد الثانى منها) :

"al-Juwayni's Philosophy" Vol. II no 1.
Jan. 1962)

٨ — « مصنفات الجوينى » (بالعدد ٢ لشهر أبريل سنة ١٩٦٢ م بالمجلد الثانى منها) :

"al-Juwayni's works"- Vol. II. no 2. April 1962.

٩ — « أول من أسلم من الرجال » (بالعدد ٤ لشهر أكتوبر سنة ١٩٦٢م بالمجلد الثانى منها ، وبالعدد ١ لشهر يناير سنة ١٩٦٣م بالمجلد الثالث منها) :

"The Tradition about the first Muslim"
Vol. II. no 4 Oct 1962, Vol. III no 1 Jan. 1963.

١٠ — « الأحاديث النبوية » (بالعدد ٢ لشهر أبريل سنة ١٩٦٣م بالمجلد الثالث منها) :

"Traditions" Vol III no. 2 April. 1963.

لمع الأدلة فى قواعد أهل السنة والجماعة

لإمام الحرمين أبو المعالى الجوينى

الفهارس العــــامة

١ ـ فهرس آيات القرآن الحكيم الواردة بالكتاب :

٢ – فهرس الأحــاديث الشريفة والأدعية المأثورة :

٣ ـ فهرس الشعر :

٤ ـ فهرس الأعلام :

٥ ــ فهرس الأماكن :

٦ ــ فهرس الفرق والمذاهب والطوائف :

٧ ــ فهرس الكتب :

٨ ـ فهرس بأهم التواريخ :

السنة	الواقعة فى الكتاب	الصفحة
٣٣٤ هـ – ٩٤٥ م	بداية ظهور ولاية خراسان على جاراتها وذلك فى عهد أحمد البويهى	١٨
٣٨٧ هـ – ٩٩٧ م	وفاة الصعلوكى	١٣
٤٠٧ هـ – ١٠١٦م	استقرار والد الإمام بنيسابور	٩
٤١٧ هـ – ١٠٢٦م	وفاة القفال المروزى	١٣
٤١٩ هـ – ١٠٢٨م	مولد عبد الملك بن عبد الله الجوينى إمام الحرمين أبو المعالى	١٠
٤٢٦ هـ – ١٠٣٤م	ظهور السلجوقيين بولاية خراسان	١٩
٤٣٨ هـ – ١٠٤٦م	وفاة والد إمام الحرمين عبد الملك الجوينى	١٧
٤٤٣ هـ–١٠٥١م	فتنة دينية بمدينة الكرخ	١٩
٤٤٤ هـ – ١٠٥٢م	فتنة دينية أخرى بنفس المدينة	٢٠
٤٤٣ هـ – ٤٤٧ هـ / ١٠٥١م – ١٠٥٥م	سلسلة من الفتن الدينية بمدينة نيسابور	٢١
٤٤٦ هـ – ١٠٥٤م	خروج إمام الحرمين الجوينى من مدينة نيسابور ..	٣٣
٤٤٧ هـ – ١٠٥٥م	دخول الغز مع طغرلبك مدينة بغداد	٣٥
٤٤٧ هـ – ١٠٥٥م	فتنة بين فقهاء الشافعية والحنابلة	٢٠
٤٤٩ هـ – ١٠٥٧م	وفاة الخبازى	٣٢
٤٥١ هـ – ١٠٥٩م	ظهور الملك ألب أرسلان	٢١
٤٥٨ هـ – ١٠٦٥م	وفاة أبى بكر البيهقى	٢٤، ٣٢
٤٦٧ هـ – ١٠٧٤م	وفاة أبى الحسن الباخرزى	٢٤
٤٦٨ هـ – ١٠٧٥م	وفاة على بن أحمد بن أحمد بن على الواحدى	٢٤
٤٦٩ هـ – ١٠٧٦م	زيارة أبى الحسن بن فضالة المجاشعى لمدينة نيسابور.. ...	٣٩
٤٧٨ هـ – ١٠٨٥م	وفاة عبد الملك بن عبد الله بن محمد الجوينى إمام الحرمين..	١١، ٣٩، ٤٠
٤٨٦ هـ – ١٠٩٣م	وفاة أبى محمد المصرى	٢٤
٤٩٢ هـ – ١٠٩٨م	وفاة أبى تراب المراغى	٢٤

السنة	الواقعة فى الكتاب	الصفحة
٥٠٨ هـ – ١١١٤م	فراغ النساخ محمد بن سليمان من كتابة العقائد النسفية التى توجد ضمن المجموعة الخطية رقم ٦١٨ مجاميع بدار الكتب المصرية والتى تتضمن أيضاً رسالة لمع الأدلة للجوينى إمام الحرمين	٦٠، ٦٣
٥٠٩ هـ – ١١١٥م	الفراغ من كتابة جميع رسائل المجموعة الخطية السالفة الذكر	٦٠، ٦٣
٥٤٧ هـ – ١١٥٢م	الفراغ من كتابة رسالة لمع الأدلة للجوينى إمام الحرمين بالنسخة الخطية التى توجد بمكتبة برلين	٦١، ٦٣، ١١٧
١٢٣٥هـ – ١٨١٥م	تاريخ كتابة لافتة قديمة بمسجد الجوينى بدرب الجوينى بناحية الدرب الأحمر بالقاهرة	٤١
١٣٨٥هـ – ١٩٦٥م	الفراغ من كتابة تقديم « رسالة اللمع » بعد تحقيقها بمعرفة المؤلفة	٧٢

٩ ــ فهرس الموضوعات :

الموضوع	ص